بيت ست

رواية

الكتاب : بيت ست

المؤلف : أيمن العايدي

رقم الإيداع : ٢٠١٧\١٥٢٤

الترقيم الدولي : ٢- ٥٦- ٦٤٩٥- ٩٧٧- ٩٧٨

***

دار الميدان للنشر و التوزيع

جمهورية مصر العربية

هاتف 01099135074 / 0552311408

Website: www.daralmidan.com

E- mail: almidan@daralmidan.com

مقدمة

إنها رواية وليدة لحظتها، بدأت بموضوع مخيف له أصول وقواعد مثيرة للجدل على المستوى العالمي، تناولته أكثر من دولة في أفلامها، ولكن لا شيء أفضل من أصحابه... وعلى وتيرة المثل الشهير (إدِّي العيش لخبازه).

وليست (خبازه) مقصدها أنا.. ولكن (المصريين) ككل.

ورغم ذلك استعدوا لخوض تجربة جديدة من نوعها..

ولكن وجب التنويه أن:

* أحداث هذه الرواية مستوحاة من (أحداث حقيقية) تكررت عدة مرات ولعدة أشخاص.

* ولكن ما دون ذلك من تشابه في الأسماء أو الأشخاص أو المعلومات أو الأماكن، فنؤكد أنها بالكامل من قبيل الصدفة ومن خيال وتصور المؤلف، وليس بها أي مقصد أو نية للتشابه؛ لأن أشخاصها شخصيات خيالية... أكرر (خيالية).

وهذا تأكيد منا لذلك؛ حتى لا نفرض أو نخوض جدلًا من البداية... وحتى تُخلى مسؤولية المؤلف من هذا العاتق.

هل اتفقنا؟؟

هل نحن على وفاق؟؟

إذن... فلنتوكل على الله... هو حسبنا وإليه المصير.

أيمن العايدي

البداية

تقدمت (سيدة) في الثلاثينيات من عمرها عبر باب خشبي بجانبه لافتة (رئيس المباحث)، ثم طرقت طرقًا خفيفًا، فأجابها صوت أجش ومؤثر جدا بالداخل: "اتفضلي".

تقدمت بجمالها المتوسط إلى حيث يجلس (صاحب الصوت)، لتشاهده للمرة الثانية فتى قوي البنية وسيم الشكل جالسًا على مكتب فاخر وأنيق عليه لافتة رخامية أنيقة تليق به، خُطّ عليها (رائد/ مراد الشُبوكْشي)، فنطق بتوتّر خفيف وهو يقف لها احترامًا: "شكرا يا أستاذة (ليلى) على تليفونك، ومقدّر إني مأخّرك.. (سلمى) عاملة إيه دلوقت؟"

أومأت (ليلى) بأدب: "كويسة يا (مراد) بيه.. لسّة سايباها حالا وجيت عليك.. كنت بودّيلها لبس وغيارات"

(مراد): "طيّب اتفضلي.. مش هاخد من وقتك ساعة.. بس تفهّميني إزاي ده حصل!"

توترت (ليلى): "أنا مش عارفة إزاي ده حصل.. أنا لما اتّصلت بيك مكنتش فاهمة مالها بس حسيت بخطورة الموقف.. معرفتي القريبة بـ(سلمى) ممكن تكون خلتني مش شايفة حاجة مش طبيعية.. وأنا بجد حبّيتها وقلقانة عليها، عشان كده استجبت لطلبك وجيت أحكيلك القصّة كُلها... بس أرجوك من غير لا سين ولا جيم ولا رسميات"

أشعل (مراد) سيجارة وقدّم لها أخرى، فرفضت مصرحة: "شكرًا، مبدخّنش"

فنفث دخان سيجارته بعيدا عنها احتراما لها مؤكدًا: "متقلقيش أنا مفروض خلصت شغل بعد ما خيوط القضية وضحت.. وأنا بس هسمع منك على السريع وخلاص.. عشان أربط اللي حصل ده باللي فات"

أومأت (ليلى) له موافقة: "القصة ابتدت يوم رأس السنة.. لما اتصلت بـ(سلمى) كانت لسّة صاحية من النوم.. زي ما قلتلك معرفتي بيها من فترة قريبة.. اتعرفت عليها يوم ما اتعيّنتْ جديدة معانا في قناة (.......)"

****

ليلة رأس السنة - ٢٠١٧ م

استيقظتْ (سلْمى) على شهقة غير طبيعية، وعيناها مغرورقتين بالدموع كمن عانت من كابوس مزعج، فأحست منه بالحزن واللوم الذاتي، ودوار رهيب كان يسبب فقدانها التركيز كالعادة، فالتفتت نحو زجاجة بها أقراص متناثرة من المهدئ الذي تتناوله باستمرار، ثم وجهت نظرها إلى تابلوه ذي إطار صغير على الكومود، لتنظر إلى تفاصيل الصورة التي تتوسطه، لـ(طفلة صغيرة) تبدو في السادسة من عمرها، لها ذات الملامح التي تحملها (سلمى)، مكتوب أسفلها (دارين) بحروف إنجليزية، وفي الركن الأيسر العلوي شريطة سوداء.

وبحزن شديد يفوق الوصف بدأت تتذكر كابوسها في عجالة، كأنه عصف بذهنها ليعذبها، عندما صرخت (دارين) الصغيرة ببراءة فيها كعادتها وهما في السيارة: "مااااميي! ماااااامي!!"

فحزام أمان السيارة يضغط على بطنها بقوة ويضايقها، لكن (أمها) كانت في موال آخر؛ فقد كانت تمسك بالهاتف وسط مكالمة تليفونية وتصرخ في محدثها..

ـ"مااااامي! يا مااااامي بليز ردي عليا!"

التفتت (الأم) صارخة في وجهها: "عايزة إيه إنتي كمان!؟ مش قلتلك لما أتكلم في التليفون متتكلميش معايا!؟"

فدمعت عينا (الصغيرة) من سوء المعاملة، خاصة بعد بتر جملة (الأم)، التي برقت عيناها بفزع؛ فقد كادت تصطدمهما سيارة في التقاطع ولكن تفادتها في آخر لحظة.

إثر ذلك سقط الهاتف من يدها، فانحنت لتلتقطه، لتجد أن الاتصال قد انقطع، وقد عاود (المتحدث معها) الاتصال من جديد!

فألغت الاتصال، والتفتت إلى (ابنتها) وقد أحست بالذنب، لذا ابتسمت.. ولكن الابتسامة لم تدم إلا للحظة........

حيث أنها لمحـــــــــــــ......

بوووووووووم!!

كان الاصطدام قويا جدا من ناحية (الابنة)... قلب موازين السيارة بقوة وتناثر الزجاج لينهش في شحمهما ويصيبهما بجروح قوية، ورأس الأم يصطدم بقوة شديدة.

وكان آخر ما سمعته (الأم) هو صوت أنين (دارين) وقد عجزت عن التحرك، قبل أن تصمت للأبد، بالإضافة إلى صوت هروب السيارة التي صدمتها، ثم غابت في دوامة سحيقة في أعماق الظلام الدامس.

*****

فتحت (سلمى) عينيها الحمراوتين الدامعتين بعد أن تذّكرت

تفاصيل الكابوس، ثم بكت. ولكن فجأة رن هاتفها، فوجدتها (ليلى) صديقتها.

فمسحت عينيها وسعلت بخفة لتدفن آثار البكاء في صوتها، وأجابت بصوت متحشرج: "ليلى.."

(ليلى) بحسم: "أفهم من صوتك إنك لسة نايمة!؟"

(سلمى) وهي تعدل من صوتها: "آه شوية، بس لسة صاحية أهو!"

(ليلى): "طب بالنسبة لساعتك؟ وبالنسبة لإني داخلة عليكي بعربية القناة عشان الحفلة اللي مفروض نروحها ونلحقها من أوّلها؟"

(سلمى) وهي تلمح مرور الوقت فتذكرت: "يااه! أنا آسفة.. حالًا هلبس في ثانية"

(ليلى): "مش هعطّلك يا ستي.. خدي بالك بس إن دي أول مهمة ليكي في الشغل. (مستر عزت) مدير القناة إنسان تاااف أوي.. لو استهترتي في شغلك ممكن يطيّرك. انجزي يلا!"

(سلمى): "ماشي يا (ستي).. هنجز وربنا"، ثم أغلقت المكاملة. وبدأت تتحضر وتزداد جمالا عما كانت، رغم حالتها النفسية السيئة ومظهرها السيئ قبل التحضّر!

ومر الوقت سريعا.. وكعادة (سلمى) لا تضع مساحيق التجميل

ما عدا أحمر الشفاه وبجرعة خفيفة جِدا، ثم التقطت حقيبتها وغادرت شقتها، عندما رن هاتفها ليَعلن وصول سيارة القناة بصحبة (ليلى) مشرفتها في العمل الإعلامي الذي هي بصدده.

*****

لوّحت (ليلى) لـ(سلمى): "بسّــت! إحنا هنا!"

التفت (سلمى) ناحية الصوت وابتسمت ابتسامة خفيفة.

نظر (المصور) لـ(صديقه الفني) نظرة ذات مغزى، وهو يهمس: "إيه الجمدان ده!!؟"

سمعتهما (ليلى) فأطرقت بعينيها ناحيتهما بجدية رهيبة، فنُكّسَتا رأسيهما حرجاً وعم الصمت بالمكان، ليتخلله صوت خطوات (سلمى) وهي تدلف عبر باب السيارة وتحيي الجميع: "سلام عليكم.. آسفة على التأخير يا جماعة"

ولكن لم يجبها أحد... ماعدا إجابة (ليلى) بابتسامة بريئة!

فأشارت لها (سلمى) بعينيها: "همّا مالهم!؟"

(ليلى) والابتسامة لم تخلُ من وجهها: "لأ ولا حاجة.. بأربّيهم من أول وجديد.. متشغليش بالك"

فبادلتها (سلمى) البسمة، وقد خرجت من حالتها بشكل جزئي بمجرد رؤية (ليلى) التي ارتاحت لصداقتها، وهي تقول للسائق:

"إزيك يا عم (محمود)؟"

(محمود) وهو يدير السيارة وينطلق: "الحمد لله يا (ست هانم).. ومتقلقوش عندي طريق مُختصر مشيت منه كتير.. هنوصل منه إن شاء الله"

(ليلى): "تسلم يا عم (محمود)"

****

تحت سفح الأهرامات...

كان الحفل المنعقد بمنطقة الأهرامات وأبي الهول مُهيبا بحق، تعلوه الموسيقات والسيمفونيات ذات الألحان العتيقة التي توحي بالعراقة، كأحد إعلانات (سيراميك كليوباترا) الشهيرة التي اعتادت الأجيال السابقة على سماعها، والناس تتفاعل مع بعضها يبدو من ملابسهم الرسمية علو شأنهم؛ فهي حفلة مزدوجة غير عادية يحضرها الكثير من السياح، ومؤمنة تأمينًا جيِدا؛ إذ كانت بمناسبة رأس السنة ولتشجيع السياحة معًا، ويتخللها عرض الصوت والضوء بجميع اللغات، وأبو الهول ينطق بتاريخ نحته وتاريخ بناء الأهرامات اللذَيْن فاقا الـ٣٠٠٠ سنة، يبدو من قوة صوته كأنه سيزأر ويلتهم الجميع من حوله، من أشادوا إلى عراقة مصر بانبهار شديد!

وصلت السيارة، وبعد إجراءات الدخول من تأمين وتفتيش، كانت (سلمى) و(ليلى) و(مساعديهما) يقفون وسط هذا الكم البشري الهائل في ذهول.

كان الوضع منظمًا رغم ذلك، وأتاح الفرصة لممارسة (سلمى) دورها بتعليمات إشرافية من (ليلى) باعتبارها في بداية عملها وقليلة الخبرة، ولكن (سلمى) كانت متحدثة؛ إذ قامت بالعديد من اللقاءات السريعة المثيرة.

وحان وقت الفصل والاستراحة...

لذا أحضرت (الصديقتان) كوبين من القهوة وتمشتا تتحدثان

حتى زاوية خارج محيط الحفلة، تتوسطها خيمة تحيطها عدة خيول، حتى إذا اقتربتا اصطدم بـ(سلمى) (شخص) وقد كادت صدْمته أن تسكب منها القهوة، ولكنه أسرع بالاعتذار ولكن بطريقة تعبر عن تدني وسطه الاجتماعي، فنظرت لها (ليلى) وسألت بسخرية بصوت عال عن قصد لتُسمعه: "هو ماله (الأخ) بيعتذر كده وكأنه مش عاجبه!؟"

(سلمى) وهي تتابعه وهو يسحب حصانه بتوتر مبتعدًا ولا يبالي بما قالته (ليلى): "يا (ستي) متدقّيش.. حصل خير.. المهم، بعد كده هنعمل إيه؟؟"

(ليلى): "مممم.. حسب ما (مستر عزت) بيفضّل، وبما إن الحفلة مباشر، لازم تقولي تقرير رسمي بسيط في الآخر كده.. بس نختار الزاوية الصح عشان خلفيتك ويكون بعد العد التنازلي والهيصة دي"

أومأت (سلمى) وهي ترتشف من القهوة لتستلطف طعمها: "تمام فاهماكي.. طب أقول إيه؟"

(ليلى): "حبيبتي! إنتي مش صحفية سابقة؟ يعني أم الارتجال.. قولي اللي تحسّيه. بصي قولي رأيك في الحفلة كأي مواطن مش معزوم ودخلها"

ضحكت (سلمى): "أي مواطن؟ طب اسمعي كده.... (أعزائي المشاهدين.. المزز هنا جامدين طحن، والرجالة شكلهم هاي أوي أوي كمان)"

قرصتها (ليلى) وهي تضحك: "انتي بتتريقي!!؟"

(سلمى) وهي تتأوه من قرصتها: "حرام عليكي الجو سقعة! أنا بهزر... أنا طبعا فاهمـــ......"

بووووووووم!!

فجأة دوي انفجار تتخلل صوته عدة شرزات كهربية قوية جدًا، وهناك ما يشبه البرق السريع ليثير الذعر، بعدها دوت صرخات عالية تبدو أنها قريبة من الحفل، فتوجهت عدسات الكاميرات كلها ناحية المصدر، ليشهدوا كومة من التراب ترتفع وتتصاعد والظلام يحيط دائرتها.

هنا تذكرت (سلمى) صدمة الحادث الذي مرت به من سنة، فأصابتها حالة من الذهول والخوف رغم بُعد الصوت عن الحفل، لكن (ليلى) كان لها دور في إخراجها من حالتها صارخة: "يا ساتر يا رب!! إيه ده!!؟؟"

نظرت (سلمى) وقد استفاقت من ذكرياتها، وهي تنظر من حولها للناس وهي تتجه لتنظر إلى مصدر الانفجار في ذعر، رغم أنهم في الأمان ولكن الرعب انتقل إليهم بالايحاء. وهنا لمحت ذلك (الخيّال) الذي صدمها من قبل، وهو يبتعد عكس اتجاه الكل ناظراً إليها بنظرة ذات مغزى هزّت في نفسها، وأثارت ريبتها!

وفي تلك اللحظة استقبلت (ليلى) مكالمة من (عزّت) مدير القناة، فردت وهي تشير لـ(سلمى): "أيوة يا (مستر).. شُفْت!؟..

منعرفش لسة.. (سلمى)؟ آه... طبعا راحت هناك على طول.. أنا هحصّلها"

أغلقت (ليلى) المكالمة وهي تنظر إلى (سلمى)، التي تفهّمت أن (عزّت) لن يفوت فرصة التغطية لما حدث، فصاحت بدورها في (المصور وفني البث): "فين عم (محمود)؟؟ كلموه يجهز العربية!"

أومأ لها الاثنان متفهمين الوضع.

بدأت (ليلى) في الابتعاد وهي تقول: "اسبقي انتي وأنا هحصلك.. هشوف رد فعل الناس وأعمله تقرير كتابي، وإنتي روحي هناك واعملي تقرير بالصوت والصورة.. هه؟"

أومأت (سلمى) وهي تبتعد وسط الحشد: "تمام أشوفك بعدين"، إلى أن وصلت للسيارة التي تجهّزت، وبالفعل انتقلت بها إلى مكان الحادث.

بمجرد وصولهم كانت سيارات شرطة الحماية المدنية بالفعل قد وصلت تباعا.

ترجلت (سلمى) بسرعة خارج السيارة وتبعها (المصور والفني) وسط الحشد الملتف حول الحادث.

والناس تفسح لها مجالا وهم يصيحون: "وسع يلا أنت وهو... التليفزيون بيصوووور"

فسَهَل اختراقها حتى وصلت.... إلى الظلام!

في نفس الوقت استعدت قوات الحماية المدنية لإنارة المكان لتتضح معالمه.

وبمجرد وصول قوات الأمن، بدأت في تكوين كردون مربع الشكل حول مكان الحادث، يهيبون بالمواطنين أصحاب الفضول بالابتعاد، والذين يقلبون كفّا على كف من غرابة الحدث، ومنهم من ارتفعت أكفهم بالهواتف النقالة لتصور ما يحدث.

هنا كان وقت (سلمى) ضيقا لتفحّص المكان وتصويره من قرب.

نظرت (سلمى) لتتبين في الضوء ما حدث، فشاهدت عقاراً منهاراً وقد تساوى بالأرض، فابتلعت ريقها خوفًا وشفقةً على من يقطنه، وتساؤلاتها عن حالتهم الآن تحت الأنقاض.

ولتتبين من يقطنه أمسكت ببعض (المواطنين) لسؤالهم عن مبررات ما حدث، قبل أن تبعدهم قوات الأمن التي اقتربت.

فهناك من أفاد أن (عاطف) -(صاحب العقار)- بنى العقار بمكونات بناء رخيصة رغم أنه من طابقين، فانهار نتيجةً لذلك!

وهناك من أفتى بأن المكان مسكون، وهذا جزاء من يقطن به أن تحل عليه اللعنة، وهذا هو سبب انحسار موقعه عن باقي الحي!

وهناك من صرح أن الأرض طينية من أسفل، ومع الوقت قد تنهار بعض المناطق، وبدأ القدر أول خطواته من هنا!

وهناك العديد من الآراء الأخرى المنطقية وغير المنطقية!

والغريب أن هناك من رفض بشدة أن يصرِّح بشيء مبتعدًا عنها وعليه أمارات الرعب مرتسمة بشكل واضح وملحوظ!!

وفي النهاية أنهت (سلمى) تصويرها ببث مباشر ومتواصل، وحانت لحظة التقرير الأخير، فاقتربت أكثر وهناك (من) يصيح من بعيد لها لكنها لم تبالِ.

لا تدري كيف اقتربت جدا وبدأت في التحدث، لتقرر ما حدث وما قيل وما شهدته من تعامل جيد مع الكارثة، ولكن فجأة دوت خلخلة شديدة وهناك ظل يميل من أعلاها، حتى إذا شاهدها (مصورها) صرخ ليحذرها، ولكن هناك (من) أسرع ناحيتها ليظهر من العدم ويلتقطها في اللحظة الأخيرة ويطرحها أرضًا، وإذا بعامود إنارة غير مستقِر يسقط محل وقوفها بقوة.. وعمت حالة من الهرج للحظة!

نظرت (سلمى) بذهول رهيب وهي تنهج بشدة، ناحية العامود وهي غير مصدقة، وجالت ببصرها ناحية مُنقذها، فبرقت عيناها من الصدمة: "(مراد)!!!!"

(مراد) وهو ينفض ملابسه متعجبًا والغضب على ملامحه: "(سلمى)!!!! إنتي إيه اللي جابك هنا!!؟"

(سلمى) في حالة ذهول من هذه الصدفة العجيبة: "بغطي الحدث!"

اقترب (أحد المجندين) من مراد: "انت كويس يا (مراد) باشا؟"

أومأ له (مراد) شاكرا له، ونظراته لا تحيد عن (سلمى) التي اتجه لها (المجند) لمساعدتها على الوقوف في مواجهته والاثنان لا ينطقان، إلي أن دخلت (ليلى) وهي تصرخ لتقطع شعاع التواصل البصري فيما بينهما: "(سلمى)!! إيه اللي حصل!!؟ إنتي كويّسة؟؟"

نظرت لها (سلمى) وهي لا تدري إن كانت مصدومة لرؤية (مراد) أم لنجاتها من الموت المحقق! وأومأت بدون إدراك.

هنا مدّت (ليلى) يدها لـ(مراد) شاكرة له: "متشكرين لحضرتك يا فندم"

نظر لها (مراد) باحتقار، ثم ألقى أمره للـ(مجند) بصوت عال: "(غنيم).. قفّلي المكان.. مش عاوز حد هنا"، ثم نظر للجموع المحتشدة مكملًا: "أديكم شفتم! مش ناقصة مصيبة على المصيبة اللي كانت هتحصل دلوقت!" ثم التفت مبتعدا.

نظرت (ليلى) له بسخط وتمتمت: "هو ماله ده!؟"

هنا تدخل (غنيم): "يا أوستاذات ماينفعش تُجفوا هنا، أديكوم سمعتوا كلام الباشا (مراد)"

نظرت (ليلى) له وأومأت هامسة لـ(سلمى): "(سلمى).. مش هنمشي غير لما نخـــــلّـــ..."

قاطعتها (سلمى): "أنا خلّصت خلاص يلا بينا"، وهي تنظر بقرف ناحية (مراد) الذي وقف يوزع أدوار قواته لتطويق

المكان.

ردت (ليلى) وهي تلمح (المجند/غنيم) واقفًا في انتظار خروجهما: "خلاص بينا.. (مستر عزت) هيبعت حد مكانًا يغطي اللي بيحصل... وهو عاوزنا نروحله دلوقت"

ثم شدّتها من يدها لتتحركَا معًا، و(سلمى) تحاول أن تتمالك أعصابها التي تبعثرت بجانب كرامتها.

بينما هناك شريط أصفر اللون يمتد مكتوب عليه:

(ممنوع المرور.... منطقة محظورة)

****

مقر القناة الإخبارية...

طرقت (سلمى) باب مكتب (مدير القناة) وهي تنادي: "مستر (عزت)؟"

ألقى (عزت) جملته آمرا: "اتفضلي يا (سلمى)!"

دخلت (سلمى) وهي في حالة مزرية.

فنظر لها (عزت) متعجباَ: "إيه ده مالك!؟"

حكت له (سلمى) ما حدث في عجالة..

تعجب لأمرها قائلًا: "حمدًا لله على سلامتك.. أنا هكلم دكتور صاحبي عشان يفحصك"

قاطعته (سلمى): "مفيش داعي.. أنا كويّسة"

مط (عزت) شفتيه غير مقتنع: "شووور!؟؟"

أومأت (سلمى) بابتسامة باهتة، مجاملة: "شووور"

نظر لها (عزت) بإعجاب: "طيب.. تقدري تتفضلي تروّحي عشان شكلك تعبانة"

نظرت له (سلمى): "شُكرا"، وتوجهت إلى الباب.

ولكن (عزت) أوقفها للحظة: "(سلمى).. إنتي كنتي شغالة

صحفية قبل كده.. مش كده؟؟"

توقفت (سلمى) وقد بان عليها الأسى: "أيوة"

برر لها (عزت) بخبث: "واحدة جديدة زيك وكانت صحفية وعملت اللي حصل النهاردة.. ده دليل إنّي مش هلاقي أحسن منك إنك تحققيلي في حوار البيت ده وسبب وقوعه.. الموضوع شكله كبير.. هتقدري؟"

فرحت (سلمى) من داخلها، وابتسمت له: "ممكن تعتمد عليا يا مستر (عزت).. ومن دلوقت لو حابب"

هز عزت رأسه نفيَا: "لاااا دلوقت إيه!؟ هو الحوار هيطير في ليلة!؟ ارتاحي وبكرة ابتدي.. اسمعي بأة.. المرة الجاية تدخلي مكتبي، بعد أسبوع.. شهر.. المهم تكوني جبتي دُرَف الحوار ده... هخلّي (ليلى) تشيل شغلك الفترة دي كأنك لسة متعينتيش"

ثم قام بمنتهى اللطف وفتح لها الباب.

شكرته (سلمى) وخرجت إلى حيث (ليلى) تنتظرها.

نظرت لها (ليلى): "هاه قالك إيه؟؟"

ابتسمت (سلمى): "طلب مني إني أحقق في موضوع البيت ده!"

تعجبت (ليلى): "يا سلام!! غريبة دي! طول عمره بيفكه من الجو ده! اشمعنى!؟"

(سلمى) متعجبة: "مش عارفة.. المشكلة إنه قال إنك هتشيلي شغلي الفترة دي كأني متعينتش"

تبسّمت (ليلى): "عيب عليكي.. ولا تشغلي بالك؛ أنا واخدة على كده.. المهم أنا معاكي قلبا وقالبا في الحوار ده.. أوكيه؟"

(سلمى): "أوكيه"

نظرت (ليلى) إلى الساعة: "هاه هتعملي إيه؟؟ هتروحي بعربية القناة، ولا نشرب حاجة خفيفة وأوصلك أنا بعربيتي؟"

(سلمى) وهي سعيدة بمعرفة (ليلى) وذوقها الشديد: "نشرب حاجة"

واتجهت الاثنتان ناحية البوفيه.

****

بوفيه القناة...

وقف عامل البوفيه منتظراَ طلب (سلمى) و(ليلى) بفتور.. وهو يتبادل النظر بينهما.

لكن (ليلى) ابتسمت له ليتبخر فتوره: "جردل قهوة يا عم (سيد).. ومتبصلناش كده.. يومنا كان وحش وأنا هنام على نفسي"

فأومأ لها (سيد) وهو يحمل ابتسامة خفيفة مجاملة ببطء عبر تطبيقة وجهه الحزين.

ثم نظر إلى (سلمى)، التي خرجت من شرودها في تلفاز البوفيه الذي يعرض تغطية العقار المنهار: "أنا عاوزة نسكافيه معلش"

وسرعان ما غادر عامل البوفيه كمن ينتظرها، كأنه روبوت وقد أخذ أوامره للتو.

نظرت (ليلى) لـ(سلمى): "هاه يا (ستي)؟ مين بأة الضبّوط الرذل اللي أنقذك ده؟؟ باين عليكم عارفين بعض!"

(سلمى): "ده يا ستي طليقي"

صعقت (ليلى): "إيه!!!؟"

(سلمى) وهي تنظر بين الحين والآخر للتلفاز: "أيوة"

(ليلى) بحزن: "اعذريني لو اتدخلت.. بس ليه انفصلتم؟"

(سلمى): "أيام ما كنت صحفية من سنة عملت حادثة جامدة، وكانت (دارين) بنتي معايا.. دخلت بعدها في غيبوبة شهر.. فُقت منها، واكتشفت إن (دارين)..."

صمتت لحظة ثم تهدجت مكمّلة: "ماتت"

نظرت (ليلى) لها مصدومة ولا تدري بماذا ترد؛ فهي لا تدرك ما تقوله حقا في هذه المواقف.

حينها أنقذها الموقف، بنزول المشروبات.

ثم أكملت (سلمى) من تلقاء نفسها: "(مراد) كان عارف القضية اللي كنت شغالة فيها، وكان بيحذرني من اهتمامي الشديد بيها وبالشغل، وإني مش بهتم بـ(دارين).. كنت بعانده. لمّا حصلت الحادثة لقوا موبايلي وعرف إني وقتها كنت بتكلم في الشغل... شيّلني ذنْب موتها والحادثة كلها!"

ثم ذرفت عيناها بعض الدموع في صمت، وهما مثبتتان على التلفاز تتابع تقريرها المعروض... مُسجّلًا بيد (مصورها)، ومن زوايا أخرى بهواتف (الأهالي).

هنا وقفت (ليلى) لتهدئتها، لكن (سلمى) أزاحتها فجأة:

فتعجبت (ليلى): "مالك يا (سلمى)!؟"

حدقت (سلمى) إلى الشاشة وهي تقترب منها لتشاهد مشهدها و(مراد) ينقذْها.

نظرت (ليلى) إلى الفيديو غير متفهمة مكررة: "مالك يا (سلمى)!؟ فيه إيه!!؟"

(سلمى) وقد انتبهت للسؤال: "فاكرة (الراجل الخيّال) اللي خبطني وكان هيوقّع مني القهوة؟"

(ليلى) وهي تنظر للتلفاز: "آه فاكراه!"

(سلمى) وهي تلتفت لها: "بصي، هفهمك بعدين.. وديني بس لحد من المونتاج هنا"

(ليلى) وهي تتعجب وقد ذهب عنها التعب: "ماشي تعالي"

وبالفعل ذهبتا لأحد العاملين بالمونتاج، وطلبت (سلمى) أن تعيد الفيديو إلي مشهد معين.. وهنا صاحت: "استنى! وقّف هنا!"

نظرت (ليلى) وهي تقترب من الشاشة بجانب (سلمى) متفهمة: "إيه ده!؟ إيه اللي دخله هنا وإزاي دخل أصلا!!؟؟"

(سلمى) وهي تدس إصبعها لتلمس الشاشة من زاويتها، مشيرة: "سيبك من دخوله! السؤال هنا هو بياخد إيه من الأنقاض دي ساعة اللبش ده؟؟ بصي بيبص للكاميرا إزاي كأنه عارف إنه بيتصور!!!"

(ليلى): "تقصدي إيه؟؟"

(سلمى): "معرفش.. بس إحساسي إنه خَد حاجة مهمة"

هنا قام عامل المونتاج بتقريب الصورة، وضغط [طباعة] من تلقاء نفسه.

فنظرت له (سلمى): "كنت لسة هقولك زووم واطبعلي الصورة!"

(ليلى) وعيناها على اللقطة: "باين كده إنها كاميرا!!"

هنا التقطت (سلمى) الصورة المطبوعة، وشكرت (فني المونتاج)، ثم همست إلى (ليلى): "يلا روّحيني.. أنا بُكرة ورايا يوم طويل"

ثم ابتسمت بابتسامة أمل، وهي في طريقها للمنزل.

****

شقة (سلمى)...

بعد أن عادت (سلمى) لمنزلها مودّعة (صديقتها)، ظلّت تحدّق بملابسها في الصورة، وإلى ملامح الخيّال الذي بدا في ملامحه أنه رجل أربعيني يرتدي تلثيمة حول رأسه يخرج منها شعره الأشعث من جميع النواحي، نظرته غامضة ومخيفة تجاه الكاميرا كأنها متعمّدة، لكن أتاها إحساس أنها نظرة قلق... لا تدري!!

وكل ما أحسّت به بعد ذلك الإرهاق الشديد وقد بدأت تغرق في شعور الحاجة إلى النوم العميق من تعب اليوم. وبعد تقلبات عدة على الأريكة استيقظت وانتقلت إلى سريرها لتحتضن الوسادة حتى صباح اليوم التالي، وهذه المرة دون تناول مهدئاتها كعادتها.

*****

وفي الصباح استيقظت (سلمى) برعب على نداء مخيف ومألوف: "مااااامي.. مااااامي.."
تنهدت، وأدركت لسبب ما أن ذاكرة الحادث بدأت تضرب عقلها، لتذكرها وتُحمِّلها الذنْب كـ(مراد) طليقها.

كل ما حاولت فعله هو محاولة تجاهل وتناسِي هذا الإحساس بأن تشغل نفسها كما اعتادت، لذا لم تضيع وقتها وتجهزت مرتدية ملابس ميدانية بعيدة عن الأناقة (بنطال جينز وهاف كول مشدود وجاكيت جلد وأيس كاب ونظارة شمسية) لتصبح

كالمحققين السريين.

وبدأت رحلتها حول دائرة العقار المنهار بصحبتها صورة (الخيّال الغامض).

ولا تدري كيف نَمَتْ بداخلها بذرة الفضول لدرجة البذخْ؛ فكلما تهتهت أو تلعثمت الإجابات ممن سألته أو تعثر في نطقه متعمدًا، عالجت لسانه على الفور بمبلغ مالي حتى يُشفى ويصرِح لها، وهي تدرك أنها تخاطر بمعلومات قد تكون بعيدة عن الصحة، وفعلا هناك من ذهب بها إلى دروب من الخيال وضيع جزءاً من وقتها!

وهناك من دلّها على الطريق الصحيح... واقتربت!

حتى هبط عليها الليل، وانتهت رحلتها إلى اسطبل خيل صغير الحجمِ ذي بِوابة حديدية سوداء يملأها الصدأ، دفعتها لتصدر صريرا مزعجًا هاجت على إثره الخيل وصهلت كأنها تنبه أصحاب الاسطبل لوجود زائر لم يعتادوا عليه، فشاهدت خيّالًا يتوجه ناحيتها متسائلًا بلدغة في مخارج حروفه: "اؤمري يا مدام؟"

نظرت (سلمى) حولها، ووضعت يدها في جيبها مخرجة الصورة: "لامؤاخذة يا أخ.. أنا بسأل عن الشخص ده"

ثم أرته الصورة، فتظاهر الرجل بالجهل، كما أحسّت (سلمى) من أدائه المفتعل وطريقة نطقه الغريبة للحروف: "لأ تقريبا مشوفتوش"

حدقت (سلمى) له بعند وجرأة شديدة: "مشوفتوش!؟ مش باين يعني!؟"

(الخيّال) وهو ينظر لها بقلق: "إنتي عاوزة إيه بالضبط يا (مدام)؟؟"

(سلمى): "عاوزة أقابله بس.. متقلقش الدار أمان"

ثقبها (الخيال) بنظرة حادة: "آه.. وإيه اللي يضمنلي إنك مش حكومة ولا محضرالنا مصيبة؟؟؟"

(سلمى) وهي تخرج مبلغًا نقديًا وتمد يدها له: "دول.. انت شكاك ليه!؟ وبعدين هو فيه حكومة هتدفعلك فلوس عشان توصل لخيّال!؟ كان زمانها نازلة عليكم وقافشاه"

نظر لها (الخيال) بتردد وشك، ثم تحول إلى يمينه ويساره وهو يلتقط المبلغ ويدسه في جيبه: "خالد قرافة"

لم تتفهم (سلمى) طريقة نطقه الصعبة: "نعم!؟؟"

(الخيال) مصرحا بهمس شديد: "اسمه (خالد قرافة).. وكان هيتمسك إمبارح عشان بيبيع حجارة من الهرم.. المشكلة إنه مجنون ولو عرف إننا هنجيبله مشكلة هتبقى عركة.. إحنا مبنطيقوش، بس فيه ناس بتاكل عيش هنا يا مدام.. هو ساكن في القرافة، الترب يعني، ومحدش بيكلمه ولا بيتعرضله"

(سلمى) وهي تخرج مبلغًا نقديًا أقل من سابقه كإضافة: "مممم فهمتك.. طب أوصلّه إزاي؟؟"

(الخيّال) وهو يتقاضى المبلغ ولكن برعب وقد أحس أنه تمادى: "لو تحبي تروحي هنوديكي، بس متجيبيش سيرتنا"

(سلمى) متشجعة: "ماشي.. موافقة"

أشار لها (الخيّال): "جدعنة مني هديكي الحتة الجميلة بتاعتنا.. (عزيزة).. بتحب اللّي زيك وبتبقى رقيقة معاهم"

نظرت (سلمى) إلى ما يشير إليه فوجدت حصانًا جميل الهيئة، بني اللون يرفس في الأرض وينفخ وصهيله يرتفع كأنه سعيد بها.

ثم اقترب (الخيّال) من (عزيزة) وحل ربطتها وهو ينادي: "يا (بدوي).. انت يااادا!"

فأسرع (شاب) يصغره في السن: "أيوة يا (ريّس)"

(الخيّال) آمرًا: "دخّل (المُدام) مع الطلعة بتاعت دلوقت، وخدها القرافة تقابل (خالد) وأنا هكمل مع الباقي"

برق لها (الشاب) بشك: "طيب يا ريس.. هو (خالد) عارف؟"

جذبه (الخيّال) من ذراعه وهو يهمس بعنف في أذنه واللعاب يتطاير من فمه لانفعاله: "يا أبو مخ زِنخْ هتودّيها تقابله.. إحنا ملناش فيه.. حاول متظهرش!"

أومأ له (بدوي) متفهّمًا: "طب يلا بينا يا (مدام)"

ساعدها الاثنان على الركوب، وهي غير مصدقة أنها أخيرا بعد معاناة بحث طائلة خلال اليوم ستذهب إلى عقر دار المجنون

(خالد قرافة).. وهي تفكر بشدة كيف ستتحدث معه؟ وما هو سره وسر قلق الجميع منه؟

لم تدرك نفسها إلا بـ(شاب) وسيم يحدثها: "أول مرة!؟"

نظرت له متعجبة: "أفندم!!؟"

تحدّث (الشاب) بحرج: "آآ.... أنا.... أقصد أول مرة تركبي خيل؟"

نظرت له (سلمى) بضيق متذكرة (مراد)، وكرد فعل ناتج ردّت: "يا ريت تخلّيك في حالك!"

برق (الشاب) لها بدهشة وضيق، وهو يلملم كرامته التي نهشها أصدقاؤه، وصوت ضحكاتهم الساخرة يتعالى، وقد بدأت الجولة ومرت الدقائق وصوت حوافر الخيول تبدو بهم كمن يدخلون إلى معركة.. الغار والدب والصهيل.. قد ترتطم حدواتها في بعض الصخور المترامية لتُحدث شرارة تضفي بعضًا من الحماس.

كان الوضع ممتعا أحسّت معه (سلمى) أنها كالفارسة، وفجأة أحسّت بتهدئة خيلها اقتداءَ بخيل (بدوي)، وحادا ببطء ناحية اليمين في أعماق الظلام الحالك، وكأن البقية لا يدركون ابتعادهما، حتى بدأوا يتلاشوا شيئا فشيئا عن الرؤية وهم يبتعدون، بينما (بدوي) يسحب (عزيزة) بـ(سلمى) خارجا عن المسار المعتاد، آمرا لها: "اقري الفاتحة يا (مدام)"

****

أساك زاد

المقابر...

بدأ الظلام يختفي على ضوء خافت لمصباحِ من الجاز يشير بوجود منزل كائن وسط المقابر، والجو يحرك لهب الإضاءة لتراقص، وهناك رزاز مائي ينبئ بهطول مطر عن قريب.

هنا توقّف (بدوي): "هسسسسسسسّ! بُصي يا (مدام).. النور اللي هناك ده بيته.. أنا هستنّاكي هنا.. متعوقيش بس عشان الدنيا هتْنَطّر وعاوزين نرجع بدري"

لم تجبه (سلمى)، بل فضّلت مشاهدته وهو يربط الخيل في عامود حديدي مقطوع، ويساعدها على الهبوط، ففكرت للحظة في التراجع؛ فالمكان بث الرعب في قلبها بحق، لكن فضولها ومستقبلها القادم يتوقف على تلك المقابلة.

كان البرد قارسًا، فنفخت في يديها المكوّرتين والبخار يتطاير من فمّها كدخان السجائر، وبدأت تقترب من اللهب المتراقص تستمع إلى صوت الأغصان التي تكسرها كلما خطّت عليها، وبدأت تتضح معالم المنزل المبني على الطوب اللبن والطمي، وهناك جملة مخطوطة بالطباشير أثارت قلقها (هنا الجسد ممدود ليأكله الدود)!

فأحسّت بالرجفة والقشعريرة، وفكرت للمرة الثانية أن تبتعد، لكنّها شجّعت نفسها واقتربت من الباب الخشبي وطرقت بخفّة.

استمعت إلى سعال شديد جدًّا، وهناك صوت (عجوز) قادم من الداخل: "أنت جيت يا (خالد)؟"

طرقت (سلمى) مرة أخرى، ومع تلك الطرقة دُفع الباب في يدها.

ثم تقدمت لتقدم نفسها لذلك (العجوز).. لكن الجملة حِبست في فمها.

****

موقع الحادث...

نظر الرائد (مراد) إلى شوكة الحفر وهي ترفع الجزء العلوي من العقار المنهار، وهناك (بلدوزر) يزيل ما حملته إلى ركن بعيد، وهو ينظر لساعته بضيق شديد ويستعد ليجلس، لكنه تراجع إذ لمح مجموعة من الشباب تقترب بخيول مسرعة، فصاح لرجاله: "مين دول يابني!!؟؟"، فنطق (أحد الجمهور) المتجمعين: "دي جولة خيل يا باشا.. دايما بتعدي من هنا"

على الفور أمر (مراد) (مجندًا) بجواره: "وقّفوهم وخلّوهم يرجعوا تاني.. الطريق مقفول لغاية ما نخلّص"

أومأ له (المجند)، ثم أوقفهم وأفهمهم التعليمات، فصاح له (الخيّال) وهو يحييه من بعيد: "أوامرك يا معالي الباشا!"

فبادله (مراد) التحية وهو يعاود الجلوس ويحدث (ضابطًا) بجواره: "دي الليلة طويلة.. بقالنا يوم أهو ولسة مش باين أي حاجة.. لو فيه ناس جوة أكيد ماتوا.. المشكلة بأة إن..."

هنا هاج (عمال الحفر) ليقاطعوه!

فوقف (مراد) ليتبين ما هناك!!

فأسرع له (أحد العمال) وهو يلهث: "فيه جثة ملفوفة في ملاية يا بيه والدم مغرقها!!"

صاح (مراد) كالمجنون: "فين!؟؟"، وهو يشير لسيارة الإسعاف

بالاستعداد ويسرع خلف العامل! وبدأ الهرج والمرج يزداد حول كردون المنطقة.

أكمل (عامل الحفر) وهو يشير له و(للضابط) الذي بجواره: "جنب الحفرة دي.. البلدوزر كان هيسقط فيها.."

تمتم (مراد) متعجباَ: "إيه!!؟ حفرة!!؟"

*****

ـ "مين اللي هنا!!!؟"

تفحصت (سلمى) (العجوز) طريح الفراش.. يبدو أنه يعاني من مرض عضال، ويبدو أيضا من عينيه البيضاء كاللبن أنه أعمى يستمعٍ إلي تحركاتها دون أن يدري من هنا.. ويتلفّت في قلق متحسساً الهواء.. وهذا أقصى ما استطاع أن يفعله.

باستثناء أنه زاد من رعب (سلمى)، وهو محله ويصيح بصوت أعلى وكأنه ينظر لها: "مين!!؟؟"

توقفت (سلمى) وكتمت أنفاسها وتفحصت المكان من حولها، وفتحت ضوء هاتفها لتستبين المكان، وهنا لمحت الشيء الذي أتت من أجله... (الكاميرا).

لم تفكر (سلمى) كثيرا؛ إذ التقطتها بحذر شديد وعادت أدراجها، عندما استمعت الي صوت حفر من جانب البيت.

بدأت تتحرك بخفة شديدة حتى خرجت من المنزل، وغطى على ذلك صوت سعال (العجوز) الشديد، وهنا لمحت مشهدا مرعبَا جدًا.

(شخص) مألوف لها من الخلف يبدو أنه (خالد)، يقوم بدفن جثة أسفل حصيرة متهتكة ومرقعة، عندما أزالها بانت تفاصيل الجثة، واتضح أنها لحصانه، وكل ذلك على ضوء أكواز الذرة المشتعلة والألواح الخشبية التي تحترق بجانبه، ليبدو أن الحصان الذي شاهدته أمس في أتم صحة متحللًا الآن من أجزاء منه، وأجزاء أخرى طغى عليها الدود، والرائحة نفاذة نابعة من جثته المتحللة.

وهنا التفت (خالد) خلفه في سرعة شديدة..!

تجمدت الدماء في عروق (سلمى)، وقد أحسّت أنها مُحاصرة ولن تستطيع التقدم أكثر من ذلك، لكنها استجمعت قوتها وأطلقت ساقيها للريح، عندما أحس (خالد) بها فصاح: "مين هنا!!!!؟؟؟"

لم تنظر خلفها وقد أحسّت ببعد مسافتها عن مكان حطوطها مع (بدوي الخيال) الذي ينتظرها، لكنها اصطدمت بشخص ما فصرخت صرخة مكتومة من فرط الرعب، ثم تبينت أنه (بدوي)، الذي بادرها لطمئنتها: "إيه يا مدام!؟ مش قلتلك متعوقيش!؟"

التقطت (سلمى) أنفاسها، ثم تحدثت بتوتر شديد: "معلش..

معلش"، ثم نظرت حولها لعلها تجد (خالد) لكن لا أثر له، فقالت لـ(بدوي): "رجّعني لو سمحت"

أومأ لها (بدوي) وهو ينظر إلى السماء التي بدأت تمطر بهدوء، ثم ساعدها مرة أخرى على امتطاء (عزيزة)، ثم قال لها: "بسرعة بأة قبل ما النطرة تقوى علينا"

لم ترد (سلمى)، بل تذكرت مشهد الحصان المدفون و(خالد) غريب الأطوار و(والده العجوز) الأعمى، ثم حمدت الله أن الزيارة أسفرت عن عدم التفاعل، وأن ما بحوزتها الآن هو ما بحثت عنه، وكما أملت أن يكون الخيط الأول لسر البيت المنهار، وهنا لابد وأن تغلق صفحة هذا (الخيّال الغامض).

خرجت (سلمى) من تفكيرها عندما صاح بها (بدوي): "يا مدااام! يا مداااام! بقولك إحنا وصلنا خلاص"

ساعدها (صديق لـبدوي)، فشكرته وناولته هو وصديقه مبلغًا رمزيا جزاء خدمتهما، ثم غادرت المكان وهي تنظر بين الحين والآخر خلفها لعلها تجد (خالد)؛ فمشهده لا يبارح تفكيرها.

طوال رحلتها بالمواصلات وهي تفكر والفضول يقتلها عن ما بداخل تلك الكاميرا.

كم تتمنى أن يسرع (السائق)! كم تتمنى أن ترجع لقيادة سيارتها مرة أخرى، لكن تربت لديها عقدة منعتها من السواقة.

فسيارتها بعد التصليح تعيش في ركن ما بجراج العمارة بلا

استخدام، تفكر أنه سيأتي اليوم لتُعالَج وتصلح من نفسها وتتغلب على خوفها مرة أخرى.

وبمجرد أن وصلت منزلها أغلقت الباب وابتلعت ريقها في صعوبة بالغة، وهي تشعر أن تلك المشاهد المرعبة التي لم تعتد عليها ستغزو كوابيسها المستمرة.. لتتطور وتغوص في نفسها.

لذا احتاجت من داخلها أن تطفئ ذلك الخوف، لا تدري لماذا فعلت ذلك لكنها فعلتها.. أمسكت بهاتفها واتصلت... ليجيب عليها الصوت وسط أصوات تتحدث وتهمهم: "آلوووو آلوووو"

أرادت أن تحدثه.. أرادت أن تصرّح له كم اشتاقت له.. أرادت أن تنطق: "وحشتني يا (مراد)".. لكنها تذكرت نظرته التي أنهت الأمر قبل أن يبدأ وجعلتها تتراجع عن قرارها. لكن لا بأس.. أحسّت بشيء من الأمان من صوته.. ومن ثَمّ أغلقت.

أما (مراد) فكان في عالم آخر.. لم يبالِ بمن المتصل؛ فأمامه جثة عثروا عليها للتو غارقة في دمائها اتضح أنها لأنثى.. وانطلق بها (الضابط) الذي يرافقه إلى المشرحة لتشريحها ومعرفة هويتها.

وبقيت له معرفة سر تلك الحفرة الصعب الوصول إليها خوفا من انهيار ما بأسفلها.

*****

بعد أن أغلقت (سلمى) الخط، أخرجت الكاميرا من حقيبتها وبدأت تتفحصها... لقد تلفَتْ بالكامل ولا مجال ولا أمل بها

لمحاولة إصلاحها. ولكن لفت نظرها أنه بمجرد الضغط على زر التشغيل تشعر بذلك الاهتزاز الداخلي، فأدركت على الفور أن بداخلها اسطوانة مدمجة صغيرة، فتعاملت معها بحذر مستخدمة مفكًّا، حتى نجحت في إخراجها وقد شعرت برعشة تسري بداخلها، ثم أزاحت الكاميرا بعيدا واضعة إياها على المنضدة، وبحثت عن مشغل الأقراص الذي بشقتها وأوصلته على الفور بتلفازها، وجلست ترتعد في انتظار...
حتي ظهر لها (شاب) في الكادر يبدو من نظرته القلق، ملامحه مألوفة بعض الشيء.

لقد تذكرته.. إنه (صاحب العقار)؛ فصورته في جميع القنوات التي غطّت الحدث.

إنه (عاطف)!

وبمجرد أن خرجت الكلمات من فمه، أحسّت أنها فعلا على الطريق الصحيح.

*****

ـ "أنا اسمي (عاطف الدكر) من محافظة (..........).. لو حد شايف الفيديو ده يبقى معناه إن حصلتلي مشكلة أو مُت. أرجوكم.. الفيديو ده خطير.. أنا باعترف فيه إني عملت حاجات أنا ندمان عليها وإحساس التأنيب والخوف خلوني أخاف من ضلّي وأسجل الفيديو ده؛ عشان لو (الناس) اللي مشغّليني

قلبوا.... مش هيسمّوا عليا!"

كرر (عاطف) الجملة الأخيرة في الفيديو بصيغة أخرى: "هيقتلوني.... من غير ما يسمّوا عليا"

ـ "أنا كاتب حاجات في مذكراتي.. كل يوم هسجّل اللي حصلي فيها.. المذكرات دي عند شجرة البازار بتاعي أنا وشريكي.. (سارجافاكوس ألياس)"

ـ "أنا مجبر أشتغل معاهم"

ثم نظر نظرة خوف اهتزازية بعينيه، أدركتها (سلمى) قبل أن يغلق الفيديو وتسودّ الشاشة.

برقت عينا (سلمى).. يبدو أنها الآن تشعر بإحساسين متبادلين مختلفين:

الأول: (الحماس لعثورها على خيط قد يساعدها في حل لغز المنزل المنهار).

والثاني: (القلق مما ستبدأ به).

فكّرت أن تذهب إلي البازار، لكنها لا تعرف أي تفاصيل عنه، باستثناء اسمه الغريب!!

وليكن.. ستتصل بـ(ليلى)؛ فهي الوحيدة التي ستستطيع أن تحصل على كل تلك المعلومات. نظرت للساعة.. إنها متأخّرة جدا! تبا ستتصل رغم ذلك وليحدث ما يحدث! وستعتذر عن

عجرفتها وعدم تقدير الوقت.. ولكن يبدو أن (ليلى) في أعماق نومها، فلم تجِبها.

أصيبت بالإحباط، وأحست أن هناك من يسبقها في الوصول لهذا الخيط، ففكرت ماذا ستفعل الآن؟

واضطرت آسفة ومحبطة أن يصبح عليها الصباح لتكون أكثر تركيزا؛ لأن التعب سيطر عليها.. ورغم ذلك حاولت النوم، لكن حماسها جعل في الأمر صعوبة.

ولكن لابد أن تنام، لذا بعثرت في صيدليتها الصغيرة بالكومود بحثا عن المهدئ المفضل لديها ليساعدها على النوم؛ فيومها التالي مؤكدًا سيكون حافلًا بالأحداث، هكذا شعرت.

ونامت أخيرًا.

*****

"ماميييييي.... مامييييييي!!"

انتفضت (سلمى) على هاتفها وهو يرن بالصباح: "آلو"

صرخت (ليلى): "إيه يا بنتي مالك!؟؟ حد يكلم حد الساعة المتأخرة دي!!؟ انتي كويسة!؟؟"

أحسّت (سلمى) بالإحراج: "أنا آسفة"

(ليلى) وهي تعدل من أسلوب النهر وتبدله بحسها الفكاهي:

"يا بنتي بهزر معاكي.. خير يا حبيبتي؟"

(سلمى): "محتاجة منك طلب يا (ليلى)"

(ليلى): "عيوني"

(سلمى): "عاوزاكي توصليني لبازار اسمه..."، توقفت لحظة لصعوبة نطق الاسم!

سألت (ليلى): "اسمه إيه؟؟"

تذكرت (سلمى): "اسمه حاجة (ألياس).. التابوت الحجري بالإنجليزي باين"

(ليلى) متفهّمة: "(ساركافاجوس) يا ضايعة.. يعني عارفة معناها ومش عارفة تنطقيها!؟"، ثم تنهدت متسائلة: "وده مين المفتري اللي مسمي الاسم الصعب ده؟؟"

(سلمى) متجنبة السؤال: "هتقدري توصلي لمكانه؟؟"

مطّت (ليلى) شفتيها: "طب اتقلي خمساية وهتصل عليكي... انتي كده كده جاية معايا الشغل... اجهزي بأة أنا كنت نازلة أهو"

(سلمى): "لا انتي نسيتي اللي (مستر عزت) قاله!؟ هريح اليومين دول عشان أوصل لحل البيت اللي وقع ده!؟"

(ليلى): "آه صح طيب.. خمسة وهتصل عليكي"

(سلمى): "طيب"

أغلقت (سلمى)، وبعد خمس دقائق بالثانية اتصلت (ليلى): "(... رقم ...) شارع (.........).. وامبارح اتقفل بالشمع الأحمر.. هتعملي إيه يا فالحة!؟"

أجابت (سلمى): "مش مهم.. وديني بس هناك"

(ليلى): "طيب أنا طلعت بالعربية خلاص جيالك أهو"

(سلمى): "حالا"

*****

وصلت (ليلى) وبصحبتها (سلمى) إلي العنوان، واتضح أنه فعلا البازار المقصود.
كان مغلقًا، وعلى يمينه ويساره ديكور لتابوتين حجريين بداخلهما مومياوتان مرعبتان.

يبدو أن (عاطف) وشريكه أنفقا أموالا طائلة عليه. وهنا لمحت (سلمى) الشجرة مميزة جدا.. يبدو أن زمنها عريق جدًا.. تنمو داخل حوض مربع الشكل يبدو أنه لا يوجد به شيئا. فترجلت من السيارة: "(ليلى).. خمسة وراجعالك"

(ليلى): "متتأخريش عليّا عشان ألحق أرجعك البيت"

(سلمى): "لأ هاجي معاكي الشغل.. عاوزة أعمل كام حاجة كده"

(ليلى): "طيب أنا هركن قدام"، وأشارت إلى مكان وقوفها.

أومأت لها (سلمى)، وتركتها لتقترب قليلًا من حوض الشجرة، لتلمح طبقة منحنية من الحديد تغلف المربع، وهناك تجويف غير ظاهر تحسسته وهي جالسة لثوان، وهي تلمح يمينها ويسارها حتى لا تلفت الانتباه، لتتبين أنه زر صغير يدوي الصنع، فتحته، فإذا بالمذكرات تظهر أمامها، لتنتشلها وتعيد الوضع كما هو عليه.. ولولا تنبيه (عاطف) لما شاهدت هذا المكان السري! نظرت حولها بحكم المنطق فلم تجد كاميرا مراقبة، وفكرت أن هذا بالتأكيد ما شجع (عاطف) على صنع هذا المخبأ الصغير.

تخيلته وهو جالس ويكتب ثم يضع المذكرة الصغيرة خلفه ويخبئها دون أن يلحظ أحد.... يا لذكائه!

عبرت بسرعة الشارع، ولكن فجأة أتاها صداع قاتل، مر كسن الرمح المدبب، جعلها تتذكر ذاكرة شاردة من الحادث.. تتردد في أجواء ذهنها...

كانت تتحدث مع العمل عبر الهاتف وسط نداء (دارين) قبل الاصطدام: "بيهددوني (أنا) و(جوزي).... بيهددوني (أنا) و(مراد).... أنا مش هسكتلهم!!"

أخرجها من الذكرى صوت مكابح سيارة كانت تعبر الشارع، وأطلق (قائدها) سيلًا من السباب.. لكن (سلمى) لم تبالِ فهي المخطئة.. لذا أسرعت إلى (ليلى) التي لمحت الموقف: "خير يا

بنتي مالك!؟"

(سلمى) وهي تحاول الصمود: "مفيش.. أنا كويسة.. الأدوية بس اللي باخدها بتعمل آثار جانبية"

تفحصتها (ليلى) غير مقتنعة: "طب أروّحـــــ....."

قاطعتها (سلمى) بطريقة موترة؛ فذكرى الحادث كانت مؤلمة لها: "لأ.. على الشغل يا (ليلى) أنا كويسة خلاص".

كانت تخبئ المذكرات ولم تظهرها إلى (صديقتها).. لا تدري لماذا أرادت أن تحتفظ بهذا السر لنفسها..!!

ولم تسألها (ليلى) فبطبعها غير فضولية.. لم تهتم.. وقادت السيارة إلى مقر القناة، والتزمت (سلمى) الصمت طوال الطريق، وفضولها ينحر جسدها بالداخل.

*****

فتحت (سلمى) المذكرة، والتي خُطّت بخط شبه مقروء، وسطحتها على المكتب المجاور لمكتب (ليلى) التي تجلس على جهازها وهي تقول: "إنتي عاوزاني في حاجة؟"

ولكن يبدو أن (ليلى) أحزنها غموض (سلمى) فردت بطريقة تبين حزنها: "لأ شكراً"

ابتسمت لها (سلمى) وهي تقول: "ماشي يا ستي.. بس

متكرمشيش وشك بس"

نظرت لها (ليلى) ثم ابتسمت مجاملة لها، فاطمأنت (سلمى) وفضولها يستعر لتبدأ القراءة. وبدأت بمجرد أن ارتاح ضميرها.... وقرأت:

~~~~~~~~

- «أنا (عاطف الدگر)... اللي هكتبه حالا ده مهم وأي حد بيقراه يا ريت يوصّله للبوليس عشان أبقى ريحت ضميري.»

~~~~~~~~

تخيلت (سلمى) (عاطف) وهو يكتب:

~~~~~~~~

- «أنا إنسان وحش من جوة.. باعترف.. وعملت حاجات كتير.. بس أول مرة أحس بالذنب كده.. بعديها قررت أكتب اللي بيحصل بعد كده عشان أعرف إزاي أمنع نفسي عن حاجة مشابهة.»

- «أنا خايف يقلبوا علياّ.. قصدي (الباشا) يقلب عليا.. مش هقول اسمه بس البوليس هيعرف يوصله.»

- «أنا بشتغلّه (كَحِولْ).. باشتريله بيوت وأراضي زي الرز في
~~~~~~~~

أماكن ومحافظات كتير.. بيبقى اسمي المالك بتاعها عشان أشيل ليلتها ومشاكلها، وهو دوره يموّلني ويكفلّني لو حصل حاجة.. واسمه المالك الأصلي بتوكيل مني ليه.. بس الناس متعرفوش.. ولا هتعرفه.»

~~~~~~~

فتحت (سلمى) هاتفها واتصلت بمحام صديق يدعى (صدّيق أبو العز)، الذي أجاب: "(سلمى).. إزيك؟"

(سلمى) كأنها تتذكر آخر حوار دار بينهما: "أنا الحمد لله يا (صدّيق).. كنت عاوزة أسألك حاجة!"

كانت (ليلى) تلقي بأذنها داخل هاتف (سلمى) وهي تستمع لها وهي تسأله بجفاف: "يعني استشارة فنّية بحكم وظيفتك لو سمحت"

(صدّيق) وهو متضايق من معاملة سلمى الجافة غير المبررة، فتحدث بطبيعته: "أوي أوي تحت أمرك.. اتفضّلي"

(سلمى): "يعني إيه (كحول)؟؟ واحد (كحول)؟؟"

(صدّيق) متعجباَ: "كاااحول مش الكُحول اللي بيتشرب"

(سلمى): "ممممم"

(صدّيق) بقلق وبسرعة شديدة: "عشان مطوّلش عليكي.. (الكَحولْ) ده الشخص اللي بيشيل قضية ارتكبها حد تاني مقابل
~~~~~~~

مبلغ مالي أو خدمة أو مصلحة من الآخر.."

(سلمى): "يعني يتحبس عادي مكانه كأنه المتهم!!؟"

(صدّيق): "وممكن مِيتحبسش.. هو بيشيل الليلة وهو وحظه بأة.. وعلى حسب الجِرم نفسه"

(سلمى) وقد تفهمت المعنى: "شكراَ يا (صدّيق).."

(صدّيق) وفضوله يجبره: "مالك يا (سلمى)؟؟ زعلانة منّي في حاجة؟"

(سلمى) وقد بدأت عيناها تحمرّان، صرّحت: "لأ يا (صدّيق).. بس افتكرت آخر مرة اتكلمنا فيها"

تفهم (صدّيق) تلك الذكري وما آلت إليه، فصرّح لها تعازيه القلبية: "البقاء لله يا (سلمى).. متزعليش نفسك وبُصي لقدام.. إنتي عارفة أنا زي أخوكي.. وتحت أمرك في أي وقت"

أغلق (صدّيق) وهو يتنهد وبداخله صراع نفسي رهيب. لم يُرِد أن تنتهي تلك الذكرى إلى تلك المأساة؛ فهو يعلم جيدًا ما هو أكثر عنها.

*****

أغلقت (سلمى) المكالمة وهي تلمح (ليلى) تنظر لها نصف نظرة ثم تعود لوضعها تجاه الشاشة.

لم تبال (سلمى) بل أكملت القراءة بتمعّن شديد وقد تفهمت وضع (عاطف):

~~~~~~~~

- «أنا مشارك صديق عمري (ياسر) في بازار سمّاه باسمه: (ساركافاجوس إلياس).»

- «(ياسر) كان مقاول سافر برة وعملهم ورجع، بس طبعه مقدرش يهرب منه.»

~~~~~~~~

سابقا في نهايات ٢٠١٦م...

نظر (ياسر) إلى الصبي نظرة مخيفة: "بتقول إيه يا روح أمك!؟ بعتها بكام؟؟؟"

ارتعد (الصبي)، و(ياسر) يناوله صفعة من الخلف على قفاه ويصيح به: "ما تنطق يابن الوارمة!!"

نظر له (الصبي) وهو يبكي: "خلاص يا ريس.. أنا خنصرت بس معلش والنبي"

نظر له (ياسر) بغضب وخبث: "طب طلّع اللي في جيبك"

هنا دخل (عاطف) وهو يغلق هاتفه ويوصد باب البازار و(الصبي) يفرغ ما في جيوبه من نقود، متسائلًا: "فيه إيه يا (ياسر)!؟؟ صوتك واصل بره ياجدع!!"

وإذا بـ(ياسر) يركل الصبي في منطقته الحسّاسة ركلة عنيفة توقف على إثرها نفس (الصبي) واحمر وجهه لثوان حتى تورّم كالجمرة، ثم سقط على الأرض يئن ويحاول التنفس، و(ياسر) يقول له: "يالا يابن الـــ...! غور ومتجيش هنا تاني!"

أسرع (عاطف) للصبي ليوقفه ويربت عليه، فصرخ (ياسر): "سيبه يا (عاطف) الواد ده حرامي!"

(عاطف) مزيلا الأتربة من ملابس (الصبي): "عمل إيه بس

عشان تضربه كده يا أخي!؟"

(ياسر): "بقى الحلو بيبيع الحتة بـ٥٠٠ وييجي يشتغلنا إنه باع بـ٣٠٠! بيخنصر ٢٠٠ على قفانا!!"

نظر له (عاطف) و(للصبي) الباكي: "وإيه يعني!؟ ميستاهلش كل ده.. انت تمسكه كده......"، وركله ركلة عنيفة أعنف من ركلة (ياسر) أطاحت بالصبي مهدداً له: "بكرة تتصرف في اللي خنصرتهم الأسبوع ده ولإما متجيش هنا تاني يله.. ولو نطقت انت فاهم.. هجيبك من حضن أمك!"

أومأ (الصبي) وهو يبكي غير مصدق أنه نجا بحياته وانتهت بالضرب.. ثم أطلق ساقيه للريح وقد قرر أن يختفي من شر الرجلين.

ابتسم (ياسر) لـ(عاطف) وبادله (الثاني) ذات الابتسامة: "ولا هييجي تاني!"

(عاطف): "بس حلوة التطفيشة دي"

(ياسر): "العيال كتير يا صاحبي.. دي الميزة"، ثم رفع كفيه إلى السماء داعياً: "اللهم ديمها علينا نعمة"، ثم نظر لـ(عاطف): "إلا صحيح انت كنت فين يا ريس؟؟"

(عاطف) متلجلجاً: "جالي تليفون مهم فخرجت أتكلم برة"

(ياسر) بشك: "مش عوايدك ترد على تليفونات بره يعني!"

(عاطف) متظاهراَ: "يا عم عادي، كنت عاوز أشم هوا وأبعد عن زعيقك.. المهم بأة، عندي حوار بكرة.. مشوار مهم كده"

(ياسر) وهو يرمقه بذات النظرة: "مشاويرك كترت! متنساش إننا طابخينها سوا!"

قالها وهو يشير على قطع الآثار المتناثرة بأرجاء البازار.

(عاطف): "ما هو عشان طابخينها سوا، خليها تكمل بس وهرسّيك"

(ياسر) بعصبية وقد فاض صبره: "هترسّيني على إيه!؟ جرى إيه يا عم (عاطف)، هو فيه أكتر من النصب على الخواجات بالحتت دي!؟"

(عاطف) وهو يسرع ليكتم فاه (صديقه): "يا غبي متكبرش الموضوع! ده أقل منه.. مصلحة بس صدّقني هبلغك بيها"

(ياسر) وقد هدأ بعض الشيء عن عدم اقتناع: "ماشي يا سي (عاطف) لما نشوف"

*****

ـ "(سلمى).... (سلماااااا)!!"

انتبهت (سلمى) لـ(ليلى) التي ترمقها من بعيد، لتجيبها: "أأ.. أيوة يا (ليلى) معلش!؟"

(ليلى) بخبث: "بتقري إيه!؟"

(سلمى) في صراحة ولا مفر ودون تفاصيل: "ورق لقيته جنب شجرة البازار"

(ليلى): "ورق شكله مهم أوي، صح؟ أصلك مركزة فيه أوي!"

(سلمى) وهي تخفي جانبًا من الحقيقة لا تدري لماذا: "بحاول أطلّع المهم واللي يفيدني في الموضوع"

(ليلى): "حححححح.. طيب يا ستي أنا خلّصت.. مش يلّا؟ أروّحك ولّا أسيبك؟"

(سلمى) مبتسمة: "لأ روّحيني"

(ليلى) وهي تبادلها الابتسامة: "طب يلّا... يا حبيبتي"

*****

بمجرد أن وصلت (سلمى) لشقّتها ألقت بالمفاتيح وانكبّت على الأريكة، وسرعان ما أخرجت المذكرة وشرعت في تكملتها:

~~~~~~~

- «عشان (ياسر) دايما بيخبي عليّا حاجات، قررت أخبي عليه حوار (الكَحِولْ) ده.»
- «التليفون اللي جالي كان من (الباشا)، وكان طالبني عشان بيعة وعاوزني أشتريها، باسمي طبعا... بس بفلوسه.»
- «ورحتله الفيلا....»

*****

دلف (عاطف) عبر باب الفيلا الهائل، ومنه إلى (الحارس) الذي استوقفه كالعادة وقام بتفتيشه بالكامل، ثم أشار له بالدخول.

دخل (عاطف) بعد أن طرق، إلى حجرة مليئة بديكورات فرعونية وتماثيل تبدو كالحقيقية لعصر الفراعنة.

يكاد يُقسم في قرارة نفسه أن تلك الحجرة يتغير ديكورها كل زيارة، ويبدو أن (الباشا) موهوم بتلك الأجواء. وها هو يتكأ على عصا تبدو كصولجان الفراعنة من الذهب الخالص يلمع تحت ضوء الشمس، الذي تخترق أشعته الحجرة عبر نوافذها الرائعة.. ودائما يحدثه من الجانب لكي لا يرى ملامحه بسبب ضوء الشمس القوي.
~~~~~~~

ولغة الحوار السائدة هنا هي (النقود).

(النقود) التي لمح حقيبتها على المنضدة.

تقدم (عاطف): "باشا.."

(الباشا): "إزيك يا (عاطف)؟"

(عاطف): "الحمد لله.."

(الباشا) كعادته يدخل في الموضوع: "عشان منعطلش بعض.. فيه بيت متطرف قريب جدا من هرم خوفو.. صحابه عاوزين يبيعوه بأي بيعة.. سعره في النازل"

ثم أشار بسيجاره المشتعل نحو (النقود): "دول نص مليون.. والعقود موجودة جوة الشنطة.. عايزك تخلص"

(عاطف) وهو يتقدم نحو الحقيبة ليحملها: "أوامر معاليك"، ثم التفت متجها ناحية الخارج، ولكن (الباشا) صاح: "(عاطف)!"

نظر (عاطف) له برعب، فرآه يشير نحو دفتر على المكتب وبجواره (المحامي الخاص للباشا)، فتفهّم الوضع.. فذهب إليه ملتقطًا قلمًا وقرأ في عجالة..

ثلاثة شيكات مجموع المبلغ بها: (مليون جنيه فقط لا غير).

ثم وقّع في صمت، وهو يتابع صقرَا حرَا يقف على فرع شجري

مصمم خصيصًا له، مربوطًا بسلسلة من قدمه وهو يبادله النظرة كأنه يقول له: "أنا نفس حالك.. تظن أني حر ولكني مربوط"، ثم ابتسم (للمحامي) الذي لا ينظر له وقد أومأ (للباشا)، ثم أشار (للحارس) الذي رافقه للخارج حتى سيارته وهو يفكّر في ضيق: "كيف بعد كل تلك الصفقات مازال لا يأتمنه ليوقع على شيكات باسمه وهو يعلم أنها بدون رصيد!؟"

أينعم يدرك أن تلك الشيكات يتم تمزيقها بمجرد أن تتم البيعة ويتم تسجيل البيت من الباطن (للباشا) عن طريق التوكيل العام له، وبه مطلق حرية التصرف في العقار.

إجراءات اعتاد عليها...

يأمل كل مرة أن يصبح التعامل عن ثقة.

ولعل ما يفعله في صديقه (ياسر) من ثقة متذبذبة تأتيه بين الحين والآخر.. سرت عليه بنفس الشروط.

(ياسِر) الذي تتبعه حتى الفيلا ليتطفل عليه، وانتظره حتى تحرك بالسيارة.

ثم قرر العودة إلى البازار مرة أخرى لأنه مغلق... يتمنى أن يكمل تتبِعه، ولكنه فضّل استجوابه لدي عودته.

*****

وصل (عاطف) بصعوبة إلي مكان المنزل بعد عدة أسئلة، ولكنه نجح.

الكل يشير إلي منزل (الست حكمت) كما أشارت له ورقة التفاصيل بالحقيبة عن معلومات بمواصفات المنزل.

فوجده متطرّفا عن بقية المساكن، من طابقين، لكنه يثير الرهبة من قدامته.

تقدّم من بوابته الرئيسية التي تطل على ساحة واسعة، فوجد مطرقة الباب على شكل يد حديدية معلّقة وممسكة بكرة فضية من الصلب، ويبدو أنه لا يوجد جرس بالباب، وهو لا يدري يُنادي أم يطرق، ولكنه قرر الطرق أولًا.. ثم انتظر.

صاح صوت أنثوي متحشرج لـ(سيدة) عجوز: "ميييين؟"

أطرق (عاطف) بأذنيه، ثم رد: "أنا يا (حاجّة)"

ثم استمع لصوت خطوات بطيئة تقترب منه، والباب يُعالج ويخرج من فتحته رأس لــ(سيدة) طاعنة في السن تتابعه بنظرات قلقة.

فسألها وهي تتفحصه من أعلى لأسفل باشمئزاز: "ست (حكمت) برضه!؟؟"

أومأت (السيدة) مترقبة بقية الحديث، فتابع: "أنا جاي أشتري البيت.. مش أنتوا بتبيعوه برضه!؟"

هزت (السيدة) رأسها بطريقة غير مفهومة وهي تفتح الباب له: "اتفضّل"

ثم تقدمت و(عاطف) يتابعها ويتبعها في صمت، وهي تصعد للطابق الثاني وتدلف لشقة أثاثها مبهر جدًا بعكس منظر المنزل بالخارج، ثم سألها: "هو فيه حد هنا هتكلم معاه؟"

فتلفتت (السيدة) له وبرقت له بعينيها: "تتكلم معاه في إيه!؟؟ انت عاوز إيه بالضبط!؟؟"

(عاطف) متعجّبًا: "إيه يا (ست)!؟ أنا كنت بقولك جاي أشتري البيت...!!"

رمقته (السيدة) بغضب شديد، ثم قفزت على صدره لتقاطعه عن جملته وهي تصرخ: "امشي من هنا!! امشيييييي!!"

نظر لها (عاطف) وهو يبعدها صائحًا: "إنتي مجنونة يا (ولية) إنتي!!!؟"

صرخت فيه (السيدة): "كووولوووهم مابيسمعوش كلامي!! امشي من هنا بقولك!!! غووووووووور!! أنا حذّرتهم ومبيسمعوش كلامي!!"

كاد أن يسير (عاطف) هربا من مسكتها ناحية باب الشقة، لكنه استمع إلي صياح (شاب) يقترب: "ياماّ حرام عليكي كل شوية تطفشي زبون كده!؟"

قالها وهو يقترب لـ(عاطف) بجلبابه مادًا يده له ليصافحه: "معلش يا أستاذ مخدتش بالي إن فيه حد هنا.. مفيش جرس في البيت"

أومأ له (عاطف) وهو يصافحه، ثم عدل ملابسه ناظرا (للسيدة) التي تبتسم له بطريقة مخيفة: "ولا يهمك.. أخدت بالي"

ابتسم له (الشاب) وهو يمسك (والدته) من ذراعيها ويسير بها نحو حجرة قائلًا لها: "خُشي بأة وهدّي نفسك وهو هيسمع كلامك.. هو ماشي أهو خلاص"

نظرت له (السيدة) وهي تنهج: "خليه يمشي.. خليه يمشي.. هيندم.. هيندم!"، ثم بدأت تئن أنينًا يبعث القلق في صدر (عاطف)، بعدها أغلق الابن باب الحجرة وصوت الأنين يخفت.

ثم أشار لرأسه دلالة الجنون: "معلش يا أستاذ أنا آسفلك والله.. أصل مِخها على قدّها"

أومأ له (عاطف) متفهمًا: "انتو بتبيعوا البيت ده؟؟"

أومأ له (الشاب) ناظرَا إليه لبرهة كأنه يتفحصه بنظرة خبيثة: "وانت جاي تشتري.. بجد الحمد لله إني لحقتك.. دي أمي طفشّت ناس ياما.... متعرفتش بيك"

(عاطف): "(عاطف الدكر).. تاجر"

(الشاب): "أهلا وسهلا.. تشرب حاجة؟"

(عاطف): "لا.. شكرا.. أنا بقول نخلّص في الموضوع عشان مستعجل وأوعدك إني هنجزك"

(الشاب) متحمسًا وقد ظن نفسه نبيهًا: "أوي أوي.. خلي الفقر يفك بأة.. بص يا كبير.. أجيلك أنا بـــ٢٥٠ وآخر.. صدقني يا باشا الفلوس دي هعالج بيها (أمي)"

لم يصدق (عاطف) تفاهة المبلغ، فأخرج الحقيبة: "وأنا بقولك ٢٣٠ يا سيدي وكاش أهو تعالجها براحتك.. قولت إيه؟؟"

لم يطل (الشاب) التفكير فقد أصيب بسعادة عارمة: "يا سلام! شغال يا باشا"

أخرج (عاطف) قلمًا والعقود وبطاقته وصورة لها بحكم خبرته، وقال له: "بطاقتك وصورة ليها ونخلّص"

دس (الشاب) يده في جيب جلبابه مُخرجا بطاقته: "ثواني هبعت حد يصورهالي بس"

استغرق الأمر ساعة من الزمن وكل شيء سار على ما يرام، فقال له (عاطف): "علي بركة الله.. يومين ونخلّص بقية الإجراءات سوا.. أستلم منك البيت على امتى؟؟"، سأل وهو ينظر ناحية الأثاث.

فبادره (الشاب): "من دلوقت يا بيه"

تعجب (عاطف): "طب والعفش!؟؟"

(الشاب) وهو يصيح لتوضيح فكرته: "أنا بايع بالعفش يا بيه"

كان الرد مريباَ لـ(عاطف) جعله يتوجس خيفة، ولكنه لا يبالي؛ فمطلوب (الباشا) تم تنفيذه وعلى أكمل وجه: "مفيش أحسن من كده.. على البركة.. نقرا الفاتحة"

ثم بسط (الاثنان) يديهما لقراءة الفاتحة، وقد أوقفهما صراخ (السيدة) الشديد بداخل الحجرة للحظة، ليربت (الشاب) على كتف (عاطف) لطمأنته. وبعد الانتهاء مد (الابن) يده مُخرجاً عدة مفاتيح، وعقد المنزل الأصلي بإسم (والده)، وإعلام الوراثة، وأوراق تعيينه من المحكمة قيماً على (والدته المجذوبة)، وغيرها من الأوراق الرسمية منها المفيد وغير المفيد، وناولهم لـ(عاطف) وهو يوضح له مفتاح كل حجرة.

وقابله (عاطف) بالحقيبة، ليعدّ (الشاب) نقوده وهو يبتسم له بسعادة غامرة.

*****

خرج (عاطف) بعد إتمام البيعة وهو فرح بها رغم غرابتها، واتصل على الفور بهاتف (محامي الباشا) لكنه وجد الهاتف مُغلقا، فقرر الاتصال بـ(زوجته سحر) ليسعدها بخبر هذا المكسب القادم.

فأجابت: "حبيبي.."

(عاطف): "عندي ليكي خبر بحوالي ٢٠٠٠٠ جنيه وممكن أكتر"

ثم قص عليها البيعة الغريبة ففرحت بشدة، ثم تحسست بطنها المنتفخ بسبب نكزة داخلها وهي تقول لـ(عاطف): "الواد شكله بيشاركنا الفرحة يا (عاطف).. لسة رازعني شلّوت... طالع زي أبوه، شقي"

قهقه (عاطف) من الفرحة: "أبوه الشقي طالبة معاه شقاوة النهاردة... نحتفل بأة"

قطّبت (سحر) حاجبيها متفهمة: "حرام عليك يا مفتري! بس ماشي.. مستنياك"

(عاطف): "وأنا في الطريق.. مسافة السكة يا مزّتي"

اتصل (عاطف) بعدها بـ(ياسر) وأشار له أنه سيتعذّر عليه الحضور اليوم، وفي الغد أيضا؛ فمهمته تخليص باقي الأوراق الرسمية مع صاحب المنزل السابق.

فغضب (ياسر): "جرى إيه يا عم (عاطف)!؟ المصلحة واخداك مننا اليومين دول!! انت كنت فين بأة أصلا؟؟"

(عاطف) من فرحته صرح له بالحقيقة، ليتطابق كلامه مع ما شاهده (صديقه) أثناء مراقبته: "كنت بزور (الباشا) صاحب المصلحة في فيلته.. لما أرجع هفهمهالك"

(ياسر) غير مطمئن: "طيب يا سيدي.. عموماً متنساش (صاحبك) وعشرتك.. بلاش وَطْيَنة"

(عاطف): "ياعم وعد هرشّقك في الحوار.. بس أظْبَط حالي بس"

ثم أغلق وقد وصل المنزل.

*****

قضى (عاطف) مع (سحر) ليلة شاعرية ورومانسية، تتخللها أحلام بما هو قادم لهما و(للطفل) كعادتهما.

وانتهت الليلة بنوم (سحر) في أحضان (عاطف).

ولكن لم تستمر النومة؛ إذ أوقظه صوت غريب قادم من مكتبه بالأسفل... صوت بعثرة... كأنها تحركات لا تبالي بمن هو نائم.

نظر (عاطف) لـ(سحر) النائمة في أمان، ثم انسلت من أحضانها وهو في حالة قلق، هابطًا للأسفل حافي القدمين، ثم أمسك بإناء فُخاري به زهور بلاستيكية، مستعدًّا لأي خطر، ثم أضاء النور بمكتبه، فلم يجد شيئًا وكأن الصوت سكت بدخوله. وبينما يلتفت وهو سعيد أنها أوهام من قلة نومه وإجهاده وضغوط التفكير، سمع مرة أخرى الصوت ولكن بوضوح تام، قادماً من خزينته حيث وضع أوراق بيعة اليوم وبقية المبلغ، فهرع ليفتحها بقلق.

فوجد محتويات الخزنة وقد غاصت في بحر من الحشرات الغريبة، رائحتها شديدة النتانة، أرجلها ذات هدبيات شعرية مثيرة للقيء، ذات قرون غريبة، تبدو في شكلها كخليط بين الخنافس والجعَلان (الخنافس التي تعيش بالمسطحات المائية)، تلوح بأجنحتها بينما تتحرك بسرعة رهيبة، وقد التهمت الحقيبة والآن تتغذى على ما تبقى من الأوراق النقدية وأوراق بيعة المنزل، وقد تكورت بعض الأوراق في أرجاء الخزينة!

فصرخ (عاطف) بشدة ومد يده بتلقائية لمحاولة يائسة لإنقاذ الورق ومستقبله، ولكن الحشرات كانت أسرع منه؛ إذ قفزت عليه مسرعة نحو ذراعه مرورا برقبته، وهي تلسعه بقوة... حتى صرخ مستغيثًا!

صاحت (سحر): "(عاطف)!! اصحي!!"

فتح (عاطف) عينيه وهو يتحسس رقبته التي آلمته، وقد تعرق بشدة، ثم نظر لـ(سحر) غير مُصدق، والتي بادرته بنظرة قلقة: "كابوس يا حبيبي... كابوس"

توجع (عاطف): "الحمد لله.... الحمد لله"، ثم استأذن لدخول الحمام ليكتشف ما يؤلمه، فوجد طفحًا جلديًا برقبته محل قرصات تلك الحشرات المخيفة التي باغتته، والتي تشبه جعران الفراعنة (خنفساء الروث لدى القدماء المصريين)، والذي باع أكثر من تمثال واكسسوار على هيئته عدة مرات ولم يَتُه عنه قط!

فشعر بالقلق والرعب من تلك التداخلات.. ثم دس الماء في وجهه.

وتجهز لإنهاء إجراءات أورق المنزل، بعد أن اطمأن أنهم بخير بخزينته، وكذلك باقي مبلغ النصف مليون جنيه.

ثم أدار سيارته لتسخينها من البرد، ضاغطًا على دواسة البنزين بقوة.

<<فوووووووووو>>

*****

فتحت (سلمى) عينيها بفزع ورعب شديدين على صوت السيارة القادمة قبل أن تصطدم بها (هي) و(دارين)، لكنها أدركت أنه كابوس آخر زارها بسبب ضوء السيارات أسفل شقّتها والتي تمر بسرعة، وأنها كانت نائمة في أمان وقد سقطت المذكرة على صدرها.. لقد غطّت في النوم رغمًا عنها؛ فسلطان النوم قد غلبها فلا يجرؤ أحد أن يعاديه.

تطلعت لساعتها وقد أحسّت بالإجهاد يصب عليها. وتحسست بطنها أمام مرآة دورة المياه لتجد أنها انتفخت والفضل يرجع لمأكولات التيك-أواي والدليفري السريعة والتي باتت روتين في حياتها اليومية، فشعرت بحاجتها للنشاط وحرق بعض الدهون، فقررت أن تمارس رياضة الجري اليوم في النادي المجاور لمنزلها.

وأثناء يومها التدريبي فكّرت في (عاطف) وفي سر المنزل، وكيف آلت الأمور لانهياره، خاصةً أن الأمور غير مبشّرة.

هذا جعلها توقف تدريبها قبل أن تنتهي منه، لتُرضي فضولها؛ فمُخّها اليوم بسبب كثرة التفكير يحرق سعرات أكثر من باقي جسدها.

ثم عادت بسرعة ونظرت للمذكرة التي تركتها على المنضدة، ودلفت لدورة المياه وبدأت في الاستحمام بماء دافئ أحسسها بالاسترخاء، حتى انتهت واستعدت لتصفيف شعرها الطويل بالزيوت المغذية، حتى لاحظت أنها تتأوه من رقبتها.

مسحت بخار الماء المنتشر على سطح المرآة، لتُصدم صدمة شدِيدة؛ فعلى رقبتها ذات الطفح الجلدي الذي أصاب (عاطف) بناءً على وصفه، وقد غطّى رقبتها من يمينها!

أحسّت (سلمى) بالقلق والخوف، ولكنها بررت لنفسها: "اللي يخاف من العفريت يطلعله"، وبررت أن هذا الطفح نتيجة حساسية مفرطة بسبب ركوبها الخيل، وسرعان ما ستزول آثارها، واستبعدت أنه بسبب طعام ما تناولته بالأمس.

لأنها لم تأكل شيئا!

ولكن المميز أن شعرها الطويل يُخفي هذا الطفح. ثم باغتتها الفضول للتفكير في مصير (عاطف) مرة أخرى، ولكن قطع تفكيرها صوت غريب قادم من حجرة الاستقبال.

فربطت منشفتها الطويلة بخصرها، وتقدمت ببطء شديد، متوقعة وجود أحد بالشقة، وقد توترت.

بحثت بحذر فلم تجد أحدًا، باستثناء تيار بارد جدًا من الهواء وقد زارها عبر النافذة عابرًا ثنايا جسدها شبه العاري.

ولكنها لم تشعر بكل هذا، فقد لفتت نظرها المذكّرة وهي على الأرض مفتوحة.

انحنت وأمسكتها فوجدت أنها مفتوحة عند الصفحة التي توقفت عندها، فأحست هنا بقشعريرية، وكأن هناك ما يُلمّح لها باستمرار القراءة.

فذهبت لتغلق النافذة، وجلست على الأريكة أمام المدفأة الكهربائية لتتابع بقية ما قرأته... على وضعها.

*****

توجه (عاطف) إلي فيلًا (الباشا) وهو سعيد أنه أكمل أوراقه على أكمل وجه.

وفعلًا تم الوضع على النحو الذي يأمله، وتم تمزيق الشيكات وأخذ مكافأته بأعلى من ما توقّعه. وبينما هو شارع للمغادرة صاح به (الباشا): "(عاطف)! انت على طول مستعجل كده!!؟"

توقف (عاطف) محلّه، وهو يبتلع ريقه؛ فهذه اللهجة تحمل في طياتها عقبة.

هنا نظر إلى (الصقر) الذي بادله النظرة الحادة كأنه يوافقه الرأي... (نعم! إنها عقبة؛ فالدنيا لا تسير أبدا كما يحلو لنا أو كما نريد)، فأجاب متلعثمًا: "لا لا.. خالص.. أصلي سايب البازار ومرحتش ليه بقالي يومين و(ياسر) صاحبي هناك لوحده"

(الباشا) آمراَ: "عاوز منك طلب"

(عاطف) متوجسًا خيفة؛ فهو يدرك أنه طلب بعيدا عن مهمة (الكَحُولْ) يدركه تمامًا: "أوامرك مش هتأخر"

(الباشا): "هتنقل (انت) و(مراتك) وتعيشوا في البيت ده.. تقدر تعتبر إنك اشتريت البيت ده ليك.. اعتبره بتاعك يا (عاطف)"

تنهّد (عاطف)؛ فأفكاره ذهبت إلى حيث ندم، ولكنه سعد بهذا الأمر؛ فهذا دلالة على رقّيه في نظر (الباشا) كما أمل. ولكنه أجاب: "طيب يا (باشا) هشوف مراتي هتقول إيـــ...."

قاطعه (الباشا) بصوت هادئ كالموت: "هتوافق طبعا... ولّا إيـــــــه!؟"

ابتلع (عاطف) ريقه الجاف: "اعتبرني مروّح بيها للبيت ده دلوقت يا (باشا)"

ضحك (الباشا): "تعجبني يا (أبو العواطف).. يلا تقدر تتفضل"، قالها وهو يشير بسيجاره البني ناحية الباب.

ابتسم (عاطف) مجاملةً، وهو يدري أن (الباشا) لا ينظر له،

لكنه دائمًا ما يشعر أنه يراه، وهو يفكر أن طلبه أو أمره -بأسلوب أدق- لا يريحه على الإطلاق، لكن لابد أن ينفّذ.

كان يفكر حتى وصل للسيارة، وأدارها منطلقًا في اتجاه البازار.. إلى (ياسر) الفضولي، وقد شعر أنه حان الوقت ليصارحه بطبيعة عمله مع (الباشا) وكيف بدأ الأمر معه.

*****

عندما وصل (عاطف) كان (ياسر) في انتظاره على أحرّ من الجمر، وفي أشد حالات غضبه؛ فأماراته مرتسمة على تقاسيم وجهه. وعندما شاهد (عاطف) صاح به: "إيه قصتك بأة يا عم انت!!؟ انت مشاركني بالحب يعني في الزفت ده!!؟"
(عاطف) والهم يرتسم عليه: "انت على طول صوتك عالي!! منا جاي أتزفت وأحكيلك!"

هدأ (ياسر) وقد لاحظ هم (صديقه)، وأحس أنه تمادى بعض الشيء، لكنه قال بهدوء ساخر: "أنا سامعك.. اشجيني ياخويا"

نظر له (عاطف) بضيق، لكنه تحامل على نفسه؛ فـ(ياسر) صديقه وشريكه، ولام نفسه بعض الشيء على عدم البوح.

وسرعان ما حكى له الأمر، بدايةً من شراكته له بالبازار بنقود الباشا في الأصل لمساعدته وكسر عينه، وما تلتها من أعمال غير قانونية يباشرها وندم عليها جدًّا. وحكى له عليها حتى عمل (الكَحِولْ)، والتي رآها طريقة للاستمرار مع (الباشا) في الأمان. وما انتهى إلى أمره بأن يقطن المنزل المريب منزل (الست

حكمت).. ولكنه اختزل بعض الأمور في نيته عدم البوح بها لأي شخص كان!

قفز (ياسر) من الفرحة، ولم يبالِ بما اقترفه صديقه بناءَ على أوامر (الباشا): "يا ابن الإيه! الراجل خلاك تشتري هديتك بنفسك! مبروك يا صاحبي!"

نظر (عاطف) له متعجباَ: "يعني سبت اللي حصل ده كله، وبتباركلي على هديته!؟ انت فاهم في إيه أصلا!!؟"

انقلبت الضحكة لنظرة بلهاء من (ياسر) وهو يهز رأسه نفياَ.

فسر (عاطف) وهو يسرح بذكراه: "إحنا تاريخنا كله أسود يا (ياسر)، وطريقنا وسخ.. وأنا ابتديته قبلك. الناس اللي زي دي لو هتيجي عليهم بقصد أو بدون، في أي حاجة بيبقوا دارسين خطواتهم بالملي يا صاحبي.. أنا ابتديت أقلق من الراجل ده.. عليه برود بيموتني... أنا ما أفْرِقْش معاه أصلا.... أينعم أنا فرحان إنه قدّرني أخيراَ، بس أنا لابس وعارف..."

قطب (ياسر) حاجبيه: "لأ اتكلم عن نفسك يا روحها.. أنا أخرى حتت صغيرة كده"، وأشار له: "مش (باشا) يلعبلي في حياتي ولا مؤاخذة"

(عاطف) في حنق: "انت كنت لسة هتبوس الجزمة عشان تبقى زيي! انت صنفك زبال يلا"

قهقه (ياسر): "يا عم بهزر! هو حد يطول (باشا) زي ده يتبناه!؟ انت بس اللي بتفكر كتير. أهو أعمل زيك وآخد بيت زي ده محندق أتجوز فيه زيّك.... إلا صحيح (سحر) قالت ايه؟؟"

(عاطف): "أهو رأيها ده اللي معرفش هيبقى إيه.. بس لازم توافق"

(ياسر): "هتوافق يا حبي.. ولو أنا هقنعهالك.. دي (بنت عمي) يا جدع"

ابتسم (عاطف) عن عدم ارتياح، لا يدري لماذا يشعر بقدوم خطر ما.. ثم سأله للمرة الأخيرة: "يعني انت معايا يا صاحبي في الموضوع ده؟"

أنهي (ياسر) جملته واستقبل (سائح) دلف للتو: "أنا طول عمري معاك يا صاحبي!"

(عاطف): "طيب هروح أخلص الحوار ده، ولو أنقل النهاردة.. البيت مفروش أصلًا.. أشوفك بكرة"

ابتسم له (ياسر)، ثم نظر (للسائح) مبتسمًا وبلغة أجنبية ركيكة:

"Hi sir, anything special you seek??"

~~~~~~~
~~~~~~~

- «كلّمت بعديها (سحر) وأنا في الطريق، مصدقتش إزاي وافقت وقالت نفس كلام (ياسر) "دي هدية تعبك معاه". هي متعرفش تفاصيل كتير عن شغلي مع الباشا، حتى (ياسر) حكيتله حاجات بسيطة. بصراحة خفت حتى إني أعترف بيها هنا في مذكراتي كمان... بس أخيرا اقتنعت إن دي هدية تعبي ومفروض ما أقلقش أوي كده.»

- «وفعلا خلّصْت نقلتي للبيت.... (البيت) حلو فعلا وعجب (سحر).. أما أنا فمتشائم من كلام الولية (حكمت) دي.. بس مسألة وقت وممكن أستأذن (الباشا) أبيعه بسعر كبيييير قدام.»

- «وكل حاجة بقت تمام... أو افتكرت كده...!»

~~~~~~~~

رن هاتف (سلمى) فجأة فوجدتها (ليلى)، فنفخت في ضيق من تلك الفصلة وأجابت: "آلو"

(ليلى): "فينك؟"

(سلمى): "البيت!"

(ليلى): "ماشي يا ستي.. قلت أطمّن عليكي، وأقولك خبر يفيدك"

(سلمى) وقد انتبهت: "خبر إيه؟"
~~~~~~~~

(ليلى): "لقوا جثة (واحدة سِت) مقتولة ملفوفة بملاية وغرقانة في دمّها"

(سلمى): "عرفوا جثة مين؟؟"

(ليلى): "(الباشا) جوزك بأة بيشوف لسة مع الطب الشرعي والكلام ده.. بس متقلقيش هعرفك أول بأول.... آه صحيح.. لقوا كمان حفرة كبيرة تحت البيت"

برقت (سلمى) بعينيها وهي تفكر في التفسير وتنظر للمذكرة: "متعرفيش الحفرة دي لإيه؟؟"

ضحكت (ليلى)..

(سلمى): "بتضحكي ليه!!؟"

(ليلى): "أصل الهري والفتي اشتغل. الناس عمالة تقول (ريا وسكينة) التانية بس على رجالة.. وإن البيت تحتيه جثث ياما بأة وجو رعب بأة... سَلَطة إشاعات... هاه.. عموما هسيبك أنا اطمنت عليكي وقلت أبلَغك.. ولو فيه جديد هقولك.. أروح أكمل المسلسل أنا بأة.. باي يا روحي"

(سلمى): "باي"، ثم أغلقت المكالمة وهي تنظر لنفسها وهي مازالت بالمنشفة أمام المدفأة، وقد قررت أن تتصل بـ(مراد) لترى ما توصل إليه، لكن كبرياءها وعزة نفسها يمنعانها، بالإضافة إلى أن معاملته الجافة ستحول دون ذلك.

تفحصت الشقة وأحسّت بحاجتها للخروج لتغيير جوها الكئيب بمجرد التفكير في (مراد).. وبسرعة شديدة حضّرت حقيبة يدها وارتدت ملابسها وقررت النزول للكافيه الكائن أسفل منزلها.

لذا غادرت.. أسرعت بالهبوط بسرعة شديدة.

ولكن هنالك أمرًا ما....

(المذكرات)... مازالت على المنضدة.... والنافذة تُفتح مرة أخرى لينفذ الهواء الجوي البارد ليقلّب صفحاتها بسرعة شديدة.

ولكن سرعان ما أغلقت النافذة فجأة ومعها (المذكرات)، ليعود الأمر لطبيعته.

عندما تذكرت (سلمى) أنها نست مذكرات (عاطف)، وعادت لتلتقطها بسرعة!

*****

- «مرت الأيام وعينينا بدأت تاخد على البيت... زي ما قلت كان من دورين وقدامهم وسعاية... باركن فيها العربية. كان بيت مثالي.»

- «كل دور بشقة.. (أنا) و(سحر) اخترنا اللي فوق عشان بتبص على الأهرامات من البلكونة.. حاجة تحفة..

والجميل إن (سحر) قرّبت تولد. ورغم هدوء الأعصاب اللي في البيت تِعْبِت فجأة ورحت بيها (للدكتور).»

- «ودي كانت نصيحته ليّا....»

~~~~~~~

نفخ (الطبيب) ثم نظر إلى (عاطف) بعد أن أخرج (زوجته) إلى أريكة الانتظار: "شوية دلع يا (عاطف).. انت مش بتعمل واجبك؟"

نظر (عاطف) له باحراج: "والله يا (دكتور) الشغل متقّل عليّا أوي اليومين دول"

(الطبيب): "بُص يا (عاطف).. لا حياء في العلم. الفترة دي الست بتبقى في أشد حالات التوتر، خصوصاً لما يبقى أول حمل ليها.. لو شافت ولادة أو سمعت عنها بالنسبة ليها ده فيلم رعب.. وكل ما يقرب الميعاد بتتعب نفسيا"

"لازِم تقرب أكتر منها، تقف جنبها، تساندها، تشْغلْهَا.. كل ده... وطبيا لازم تعمل واجبك عشان ده بيسهّل الولادة.. بس بلاش غشومية"

ابتسم (عاطف) محرجًا وهو يومئ.

فأكمل (الطبيب): "بص.. دي شوية فيتامينات مُقوية وخلاص للحوامل اللي في الشهر السابع.. وقُلّها إن دي أدوية، عشان بس
~~~~~~~

ترتاح نفسياً.. انت عارف الناس مبترتاحش غير لما (الدكتور) يكتبلها أي حاجة.. حتى لو معندهمش حاجة"

وقف (عاطف) وهو يبتسم (للطبيب): "متشكر أوي يا (دكتور).. والله ولو عوزت حاجة من أخوك أنا رقبتي سدادة"

ابتسم له (الطبيب) ثم وقف ليصافحه: "شكرا يا (عاطف).. اتفضل"

خرج (عاطف) لـ(سحر) متعجباً من اسم الدواء غير المفهوم، ثم ابتسم لها وهو يقول: "الدوا ده هيخليكي زي الفل.. وبعدين هقولك في الطريق نصيحة (الدكتور)"

ثم غمز لها...

~~~~~~~

- (ومر شهر...)

~~~~~~~

كل مرة يطلب (سحر) للمعاشرة ترفضه، تارة بحجة التعب، وتارة بحجة الألم، وتوالت الحجج.. وكان ينام غاضباً ولكنه يلتمس الأعذار؛ فقد يكون حملها ضعيفًا كما ذكر (الطبيب).. وهذا اعتبره طبيعياً.

ولكن غير الطبيعي هو أن يستيقظ ليجدها تجلس بجانبه وظهرها في مقابلته صامتة بعدد ساعات النوم... لا تفعل شيئًا!

بدأ يتابعها، فوجدها تجلس بوضع مريب كأنها تمثال من تماثيل

البازار الفرعونية.

وبدأ يصدر عن فمها فحيح كالثعبان، حتى قلق ذات مرة وقفز من أمامها وهو يصيح بخوف: "مالك يا (سحر)؟؟ إيه الصوت ده!؟"

اعتقد أنه ثعبان حقيقي وأنها في خطر.

لكنه وجد (سحر) في عالم آخر، وقد ظهرت هالة سوداء حول عينيها الحمراوين، واللتين تدمعان في صمت، والفحيح الصادر عنها يتوقف، ثم نظرت له كمن أفاقت من غيبوبة: "إيه يا (عاطف) بتعمل إيه!؟"

في تلك اللحظة أحس (عاطف) بشيء ما مريب بـ(سحر) وغير طبيعي.

وقرر ألا يذهب للبازار بحجة علّة (سحر)؛ ليتابعها أكثر ويكشف ما بها.

وفي ذلك اليوم طلبها ليقيس مدى مزاجها فوافقت! وطلبت أن تتحضر له، وطال وقتها في دورة المياه بطريقة أقلقته، فنادى عليها، لم تجبه، وبادلته بصوت فحيح الثعبان الغريب أرعب من سابقه!

لذا فتح عليها الباب رغم أنه يحترم خصوصياتها، ولكنه مضطر، فوجدها جالسة وهي تمسك بمقلم الأظافر وتجرح بطنها، فصاح بها في رعب: "الله يخرب بيتك!! بتعملي إيه يا مجنونة!!!؟"

ثم هم بسرعة شديدة ليمسك يدها، وبدأت تصرخ هي الأخري وكأن وعيها قد عاد إليها: "مشّيني من هنا!!!! أنا خلاص مبقتش طايقاك ولا طايقاه!!! مش عاوز يكون ليك عيال!!! يا وسخ!! يااا ...."، وتوالى السباب وبدأت تفضح أمره: "يا تاجر يا قذر يا مهرب!!! يا ابن الكلب!!"

وأحس بقبضتها قوية، وهي تدفعه ليسقط على الأرض وتصطدم رأسه، ليصاب برجة عنيفة تبعها شعور بالدوار.

وفجأة بدأت تبكي و(هي) تعتذر له، وتتحجج لأن أعصابها فوق الاحتمال وخوفها لا حدود له.

ومع ذلك صدّقها (عاطف)، ولكنه قرر أن يجد حلًّا وسيطًا بين (زوجته) وعمله؛ إذ قرر أن يرسل (لأختها) الصُغرى (حبيبة) التي كانت تقطن بمفردها بناء على رغبتها. فاتصل بها طالبا عونها وحكى لها التفاصيل، وأرسل (ياسر) لتوصيلها للبيت بعد موافقتها على مضض، ولكن (أختها) بحاجة لها.

وبدأ الأمر ينجح؛ إذ أصبحت (سحر) في رعاية (أختها حبيبة) التي تفوقها جمالًا.

وأصبح (عاطف) في حالة إعجاب بـ(حبيبة) ولا يدرِي كيف أو لماذا؟ هل لرفض (سحر) المستمر له والكبت، أم حبًا طرأ له فجأة!

أما (حبيبة)، فيبدو أن وجودها بمفردها كان لغرض ما قذر؛ إذ بمجرد أن وجدت (عاطف) يُراودها قررت أن تغوص داخل

قلبه.. ومن أول مرة، وكله بحجة الحب.

وفي يوم ما نامت (سحر) واطمأنا لحالها، فصرّح (عاطف) لها بحبه الشديد وحاجته لها، وهي بادلته الشعور، ودخلا في علاقة محرمة، وقد كانت ملابسها كاشفة لمفاتنها بطريقة غير طبيعية جعلته يلهث لها.

تابعتهما (سحر) وهي تحترق من الداخل، و(الوليد) المنتظر يتقلب في رحمها يكاد يفتك بالمشيمة من شدة غيظه، وكأنه يثير (والدته) التي بكت بحرقة ووجع، فجعل رد فعلها وهي في غياب تام أن تمسك بمقلّم الأظافر الذي بحوزتها دائمًا، ورشقته بلا تردد في رقبتها، لتتناثر الدماء وتسقط على الأرض بثقل جسدها على بطنها المنتفخ... منتحرة!

لينتبه لوجودها العشيقان الهائمان في سماء الحب...

ليجداها هائمة في سماء دامية!

تطلق حشرجة الموت وتنظر لهما بلوم وعتاب والدموع تنحدر من عينيها.

وبدأت تتسع بقعة الدماء من حولها، مع اتساع حدقتيّ عينيها.

لتصرخ (حبيبة) من بشاعة المشهد...

(عاطف) يفقد القدرة على النطق من هول المفاجأة!

لقد فقد (زوجة) و(ابنا) للتو... (ابنا) لم يولد بعد!

(زوجة) انتزعت روحها بنفسها وهي تلومه بنظراتها!

*****

كانت (دارين) تحشرج حشرجة الموت قبل أن تنظر إلى (سلمى) بنظرة اللوم والعتاب.

و(سلمى) تمد ذراعها ولا تستطيع أن تصل إليها، شاعرةً بالعجز التام وهي تستمع إلى السيارة التي صدمتها وهي ترجع للوراء ببطء كأن (قائدها) يتفقد ما صدمه، ثم يرجع للوراء بسرعة شديدة ويهرع هارباً.

و(سلمى) تصرخ بقوة: "(دارين!!) (دااااريييييين بنتيييييييي)!!"، قبل أن تغلق عينيها..

وتفتحهما لتجد نفسها بالكافيه والكل ينظر لها... بتعجب!

من الواضح أنها مالت على المنضدة وغلبها النوم كعادته بسبب كثرة تعاطيها المهدئات والمنومات، واستغلت حالةُ اكتئابها نومتَها الهانئة بفرض كابوس لذكرى الحادث الأليم الذي تعرضت له.

ولكن كان للكابوس فائدة شديدة؛ إذ تذكرت أن ذلك الحادث كان مقصوداً وليس صدفة!

*****

لقد بدأت تعود لها ذكريات الحادث بالتفصيل.. شيئا فشيئا...

بدأت تشعر (سلمى) بالتوتر الشديد، فدفعت الحساب وصعدت إلى شقتها، لتنفجر في موجة بكاء حار.... لا تدري هل البكاء ندماً وحزناً على استخدامها الهاتف الذي أفقدها تركيزها؟ أم لأنها مهما عصرت ذهنها لا تخرج منه إلا ذكريات شاردة طفيفة، لا تكتمل بها الصورة الخاصة بالحادث؟

هناك أمر ما تغفله...

وهنا لابد أن تهرب إلى المهدئات والمنومات...

حتى تنام.. وفعلا نامت....

يبدو أن ليلها نهارها ونهارها هو ليلها؛ فهي لا تبالي لهذا...

المذكرات هي الأهم الآن.. لقد أصبح الأمر مثيراً..

حين استيقظت، لم تنظر للساعة، بل فتحت المذكرات لتكمل...

*****

انتهى الأمر بعد وفاة (سحر) أن يتزوج (عاطف) من (أختها الصغرى) بعد أن مرت أزمة وفاتها ولم يحدث في الأمر شيئاً غريباً مؤكدا أن (سحر) جن جنونها فعلا! بلا سبب وقد اتفقا أن يخلّدا ذكراها ويتحملان لوم موتها بسبب الخيانة والإهمال.. معًا.. يربّتون على بعضهما البعض...
ولكن يبدو أن (ياسر) له رأي آخر.... لقد كان يعشق (حبيبة)

واختطفها منه (صديقه)، رغم أنه يعلم أنه يكن لها بعض المشاعر، وكان ينتظرها لتكتمل.

فأصبح الوضع منفّراَ لـ(ياسر)، إذ بدأت الشراكة تنهار بينهما شيئا فشيئا.

ولكن يبدو أن الوجود الكئيب للبيت ينفر أيضا من الوضع، ومن أي (سيدة متزوجة) قاطنة به.

بدأت الأمور تتداعى في المنزل وكأنه أصبح حيّا....

أصوات غريبة تصدر من شقة الدور الأسفل....

ترانيم غريبة.... أصوات تكسير حجارة....

مع بعض الصرخات التي تشتعل منها الرؤوس شيباَ.

حتى بدأت حالة الانهيارات النفسية التي مرّت بها (سحر) قبل ذلك، فقابلتها بالمبيت على درجات البيت أو في البلكون... بعد أن ظنوا أنها أوهام، ولكنها تفاقمت!

كلما عاد (عاطف) وجدها في حالة يرثى لها وهي تصرخ مرتعدة: "البيت حابسني!! مش عارفة الباب فين يا (عاطف)!!"

قرر (عاطف) أن يخرج بها، فطلب منها أن ترتدي ملابسها لينقلها إلى منزله القديم، ولكن حدث أمر ما مريب شغله عن هذا القرار...

لقد سمع ذات الأصوات المنبعثة من أسفل كما أشارت له (حبيبة) دائمًا....

أمسك بسلاح شخصي لديه يبدو أنه غير مرخّص، وبدأ يهبط بحذر.. وبجانبه (حبيبة)..

في البداية استمع إلى صرخات، ولكن بمجرد اقترابه بدأ الصوت يتضح....

لم تكن صرخات عادية!!

لقد كانت لـ(طفل رضيع)!!

فتح الباب ببطء شديد، ليجد (امرأة) تجلس وظهرها في مقابلة (عاطف) وهي ترضع وليدها.. وقد توقف الصراخ!

ظل (عاطف) متجمدًا محله وقد تعرف على (الامرأة).. إنها (سحر)! يراها هو فقط، أما (حبيبة) فكانت كالمخدرين.. ترتعد بلا توقف وهي غائبة عن الوعي.

ثم وقفت (سحر)، و(عاطف) متجمد من الرعب، وقرّبت (رضيعها) من فمّها كأنها ستقبّله، لكنها نهشت منه بأسنانها، والرضيع يبكي! وبدأت تكتب بالدماء على الحائط بعض الطلاسم والحروف الفرعونية غريبة المنظر.. حتى إذا انتهت بدأت الأرض تهتز وتنشق بطريقة غريبة!

وفجأة، رفعت (سحر) (وليدها) وهي تستعد أن تلقيه في

الحفرة التي تكونت.

ثم نظرت فجأة إلى (عاطف) كأنها تنبهت للتو أنه موجود، فصرخت بفحيح غريب: "ابنك.....! انت السبب....!"

ثم ألقت به في غياهب الظلام، و(عاطف) يشعر وكأن الأمر حقيقي!!

ثم عاد كل شيء لطبيعته فجأة وكأن شيئا لم يكن.. واختفت (سحر) ولكن صدى ضحكاتها الشريرة يتردد إلى مسامعه بطريقة مزعجة!

فصرخت (حبيبة) كمن أفاقت هي الأخرى ولم تشعر بما حدث: "أنا إيه اللي جابني هنا!؟؟"

نظر لها (عاطف) في حيرة: "اهدي يا (حبيبة).. أنا اللي جبتك هنا!"

ولكن (حبيبة) صدمته: "انت مين أصلا!؟؟؟"

وأخذت تصرخ فيه بفزع، لكنه قرر أن يُنهي هذا الصراخ، إذ صفعها فأغشي عليها في الحال.

هنا بدأ (عاطف) يفكر في هدوء في خطواته التالية. وأول خطوة كانت بأن أراح الكاميرا في مكان مناسب ليتيح له تصوير ما يحدث من غرائب بتلك الحجرة، التي بدأت تتطبع بطابع فرعوني ولكن مريب.. كتابات فرعونية دموية، حفرة غريبة

تتسع بمرور الوقت.

يستمع إلى أصوات غريبة كأن هناك حشرات غير مرئية تتصارع كالكابوس الذي شاهده من قبل.

وبعد أن هيأ الكاميرا، ضغط على زر التسجيل، ثم حمل (حبيبة) وصعد بها إلى السرير لترتاح.... وهو يمر بالوقت بحذر شديد، و(حبيبة) تزداد حالتها سوءاً... وتشعر بوجود غير طبيعي.

~~~~~~~~

- «الموضوع خوّفني بجد! أنا قررت أروح للباشا بعد الفيديو ده ما أكدلي إن البيت ده ملعون.. فكرت في كلام (الست حكمت) وتحذيراتها.. الست دي مش مجنونة!!
- «بالمناسبة، الاسطوانة دي مخفية في جيب الجلدة بتاعت المذكرة».
- «أنا بعديها اشتريت (اسطوانة تانية) و(كارت ميموري) أكبر مساحة، وحطيته في الكاميرا.»

~~~~~~~~

أحسّت (سلمى) برعشة غير طبيعية وهي تتحسس المذكرة لتشعر بوجود الاسطوانة!!!

كيف لم تشعر بها كل هذا الوقت!!؟

على الفور فتحتها....

لتشاهد فيديو للحجرة التي ذكرها (عاطف) بالفعل.. المواصفات متطابقة... الفيديو مشوش وكلما زاد التشويش ظهرت طلاسم دموية على الحوائط، والحفرة تزداد من تلقاء نفسها.. البلاط يتطاير كأنه بركان ثائر ليهز الكادر.

هنا لاحظت أن كادر الكاميرا يقترب من تلقاء نفسه كأن هناك ما يتحكم بها، وهي متأكدة أن (عاطف) ليست له يد!

وهنا كانت المفاجأة.. لقد شاهدت (كيانًا) غريب يتشكل.. ومع مرور الثواني يزداد وضوحًا.

صرخت (سلمى): "(دارين)!! (بنتي)!!!!"

كان (الكيان) هو تجسيدًا لـ(ابنتها) بملابس الحادث!!

ينظر لها نظرة عن قصد.... وعينيها مقلوبة..

وكأنها تراها..!!

اقتربت (سلمى) للشاشة لتتفحص المشهد، ولكن التشويش اللعين حدث والكادر اهتز مرة أخرى، لتختفي (دارين)!!

صرخت (سلمى) بخوف: "لا! (دارين)!! إنتي رحتي فين!!!!؟؟"

رجعت بالفيديو من البداية، وانتظرت ظهورها مرة أخرى، ولكن (دارين) لم تظهر لها!

هنا أحسّت (سلمى) برجفة شديدة، فجلست على الأرض وهي ترتعد ولا يوجد تفسير لما يحدث. ولكن هداها تفكيرها

المتذبذب بأن تمسك هاتفها وتتصل بمن تحتاج منه الأمان.

(مراد)..

كان (مراد) في مكتبه يباشر التحريات..

وقد وضع أمامه ملفًا يكشف هوية الجثة.. قبل أن يفتحه وقبل أن ينطق (المخبر) بالاسم.. رن هاتفه برقم غريب مألوف له.

فأجاب بضيق: "آلو"

(سلمى) بصوت باك: "(مراااد)!"

أدرك أن الرقم الغريب لـ(سلمى): "عاوزة إيه يا (سلمى)!؟"

(سلمى): "أرجوك يا (مراد) تسامحني.... انت وحشتني!"

أجاب (مراد) بمنتهى العجرفة وهو يشير (للمخبر) بالانصراف: "و(بنتك) اللي موتيها بإهمالك وجحودك وأنانيتك.. موحشتكيش!؟"

بعدها أغلق في وجهها، لتستمع إلى الصوت كأنه طلقة عابرة في أذنها، وتعجز عن النطق، وتنفجر في موجة من البكاء المتواصل وهي مستندة على الحائط، وتجلس على الأرض وتشعر بدوار رهيب. ولم تستطع أن تتحمل فأُغشي عليها على الفور وهي ممسكة بهاتفها.

أما (مراد) فطرق بهاتفه بمنتهى الضيق على مكتبه، وأطاح

بورق الملف الذي تتطاير من أمامه، وهو يتذكر مشاجرته الأخيرة مع (سلمى) قبل الحادث مباشرة.

وهو يقول لها: "امتى هتاخدي بالك من البنت!؟؟ قوليلي!! ناقصك إيه عشان تهتمي بشغلك بالطريقة دي!!؟"

نظرت له (سلمى) بمنتهى العجرفة ولا يؤثر فيها كلامه: "أنا زيي زيك.. لما تبطل تهتم بشغلك انت!"

صاح بها (مراد): "انتي اتجنيتي شكلك!! إنتي فاهمة شغلي ظروفه إيه؟؟ متقارنيش نفسك بيّا!! انتي ست.. مكانك البيت! وزي ما قلتلك مش ناقصك حاجة.. اشتغلي في بيتك يا ستي!!"

ثم أشار لـ(دارين)، التي تكومت من الرعب وهي تشاهد الشجار ودموعها تهبط بلا توقف؛ فهي متأثرة بفطرتها وسجيتها التي تشوهت لعدم توافق (الأب) و(الأم) كما أملت كأي (طفل) طبيعي.. ثم صاح: "و(دارين) مين اللي هياخد باله منها!؟ أنا!؟"

(سلمى): "ملكش دعوة! أنا عارفة أنا بربي (البنت) إزّاي. وبعدين هي اشتكتلك!؟ أنا باخدها معايا الشغل وساعات بسيبها عند الجيران"

صرخ (مراد) و(سلمى) تنظر له ببرود كأنها تتمتع بالمشهد: "ودي متبقاش عيشة يا ست هانم! كفاية الهم اللي أنا فيه! انتي معندكيش دم! ولولا (بنتنا) لكنت....

قاطعته (سلمى): "نفس الاسطوانة يا (مراد)! انت مبتزهقش!!!؟"

نظر لها (مراد) غير محتمل الوضع، ولكنه قرر جرحها في كرامتها بكلمة أخيرة بدلت الوضع وقلبت طاولة الحديث: "لو حصل حاجة (للبنت) يا (سلمى) بسبب شغلك.... مش هسامحك.... أنا عارف انتي شغالة في قضية مهربي الآثار.. الناس دي معلوماتنا عنهم إنهم مش عالم سهلة.. أكيد انتي عارفة كده.... لو حسيت إنك بتعسّي زي الكلاب على الموضوع ده هوريكي... إنتي حرة!"

انحبست الردود المحتملة في فم (سلمى)، التي برقت له مصدومة، ثم سحبت (البنت) وغادرت دون أن تنطق أو تعلق، وهي تدرك أن كلامه صحيح، وتعلم أيضا أنها بالفعل تمادت في عملها، وبالفعل قد تلقت تهديدات منهم لأنها تسعى لكشفهم على الملأ....

ولم تذكر لـ(زوجها) الضابط، رغم أنه من المفترض أنه أمان لها، لكنها رأت استحالة التوافق، وأنه سيوقفها عن ما توغلت فيه!

وها هي الآن تدرك ذلك، ولكن الوقت قد تأخّر، وقد انسكب الحليب ليترك أثرا لا مجال لإزالته!!!

*****

نظر (مراد) إلى الورق المتطاير بعد أن عاد لوعيه، وقد بررت له تلك الذكرى عجرفته مع (سلمى) بأنه التصرف الصحيح.. ولكنه لمح صورة غريبة لأنثى جميلة جدًّا، تبدو أنها صورة لهوية صاحبة الجثة، فانتبه والتقط الصورة وهو يطابق الصورة بصورة زوجة (عاطف)، فلاحظ اختلافًا بينهما، فصاح: "لمّا نشوف انتي مين بأة!"

وكانت الإجابة كامنة في باقي أوراق الملف، فجمّعه ليقرأ من البداية ما توصلوا إليه من تحريات، ويرتفع حاجبيه من الدهشة!!

*****

رن هاتف (سلمى) لتستيقظ، وقد التصق وجهها على الأرض لتشعر ببرودتها، ولكنها عاجزة عن الوقوف، فوجدت أن المتصل (ليلى) فحاولت رفع ذراعها والرد: "آلو"

(ليلى): "أوووف عليكي! نايمة برضه!؟"

(سلمى): "معلش يا (ليلى) كنت تعبانة شوية"

(ليلى): "إنتي في البيت يعني؟ طب أنا في الطريق جايالك"

(سلمى) وهي تنظر إلى الفوضى من حولها وتقول بتردد: "تنوري يا (ليلى)! خير فيه حاجة!؟"

تغاضت (ليلى) عن هذا السؤال الغريب: "جايبالك خبر بمليون

جنيه هيفيدك في القضية بتاعتك.. يمكن (مراد) جوزك معرفوش لغاية دلوقتي!"

اعتدلت (سلمى): "قولي!"

(ليلى): "عندك شاي؟"

(سلمى): "عندي يا رخمة"

(ليلى): "طيب البسي وأنا جايالك"

قفزت (سلمى) من مكانها، وهي ترتب جزءاَ من تلك الفوضي وتزيح ما يمكن إزاحته وهي تنهج: "خلاص مستنياكي"
أغلقت المكالمة، وتابعت تنظيفها..

*****

ارتشفت (ليلى) كوبها وهي تشم طرف الكوب: "ده شاي ده يا بنتي ولا خمرة!؟"
شعرت (سلمى) بالخجل: "آسفة.. أصلي ساعات بشرب!"

(ليلى): "يا ترى كنتي عاملة إزاي قبل الحادثة؟"

(سلمى) وهي تنظر بهم شديد: "يلا خير"

(ليلى): "بمناسبة الخير.. عرفت بأة إن (عاطف الدكر) ده مش صاحب البيت أصلًا"

(سلمى) وهي تعلم: "إيه!؟"

(ليلى) مكملة: "عرفت إنه اشترى البيت من (ابن واحدة سِتْ) اسمها (حكمت سراج الدين)"

(سلمى) وهي لا تشعر بالجديد؛ فهي تعلم كل هذا مصطنعة رد فعلها: "ممممم"

(ليلى): "تخيلي (ابنها) الواطي خد الفلوس وهج برة ورمى (السِتْ) في مستشفى المجانين.. شفتي وطينة زي دي!!"

(سلمى) وهذه المعلومة جديدة عليها: "ده واطي فعلا!"

أومأت (ليلى) بابتسامة خبيثة: "أنا عرفت المستشفى دي فين.. عشان كده قلتلك البسي عشان أخدك ليها!"

ابتسمت (سلمى) من أهمية المعلومة: "يا بنت اللذينا! خلصي الشاي ويلا بينا"

(ليلى) بقرف: "شاي إيه يا أم شاي هو ده شاي أصلا!؟"

أطرقت (سلمى) رأسها بخجل: "معلش.. أعملك واحد تاني؟"

ضحكت (ليلى): "لأ خلاص.. يلا بينا"

*****

وصلت السيارة أمام المستشفى، وترجلت (سلمى) ثم نظرت إلى (ليلى) التي لم تفك حزام أمانها: "إيه مش جاية معايا!؟"
ترددت (ليلى) بخوف: "لأ يا حبيبتي.. أنا دوري كده خلصان..

أنا ما بحبش مستشفي المجانين والجو ده بيخوفني ومبعرفش أنام... أنا مستنياكي"

أحسّت (سلمى) بفرحة داخلية؛ فهي من أنصار (دعني أعمل في صمت وفي السر)، وهي لا تريد كشف أوراقها لـ(ليلى)، والذي ساعدها أنها غير فضولية بطبعها، فنطقت دون تصميم: "طيب مش هطول!"

ثم أغلقت باب السيارة وهي تلمح (ليلى) وقد أخرجت هاتفها ليسليها، ثم دلفت إلى المستشفى فقابلتها (ممرضة)، ابتسمت لها، ولكن الممرضة برقت لها: "(سلمى غُراب).............. بتاعت التليفزيون!!؟؟"

أومأت لها (سلمى) وهي تتعجب..

(الممرضة): "بجد ربنا سترها عليكي يا أستاذة.. لولا (الضابط) اللي أنقذك كنتِ لامؤاخذة إيـــ..."

ثم صمتت محرجة وأكملت: "يلا الحمد لله"

ابتسمت (سلمى) لها: "الحمد لله"

ابتسمت لها (الممرضة) من قلبها كأحد معجبيها: "اؤمريني يا ست البنات"

أحسّت (سلمى) بالفرصة: "(ستْ/ حكمت سراج الدين).. محجوزة عندكم؟"

تضايقت (الممرضة): "الواطي (ابنها) رماها هنا ولا فكر يزورها.. يوووه إوعي تكوني بنــــــ ولّا..... يقطعني!"

ابتسمت (سلمى) لتزيل الإحراج عن (الممرضة): "لا لا لا.. (الستْ حكمت) كانت جارتنا من زمان، ولما عرفت إنها هنا قلتَ أزورها"

(الممرضة) وهي تشدّها من يدها: "كتّر خيرك وربنا يخليكي للغلابة.. تعالي اتفضلي.. هو الموضوع ممنوع بس عشان عيونك يا قمر.. كفاية إني شفتك"

اتسعت ابتسامة (سلمى) لها وهي تشكرها، حتى وصلتا إلى باب العنبر الحديدي.

نادت (الممرضة) على (عامل الحراسة): "يا عبده.. افتح.. معايا زيارة"

نظر (الرجل) لـ(سلمى) ليتفحصّها وكأنه لم يتعرف عليها، وهو يقول: "معاها تصريح؟"

هنا تقدّمت (الممرضة) وغمزت لـ(سلمى)، فتفهمت الوضع فأخرجت ورقة مالية لتعطيها لها، وبالتالي ناولتها (للرجل) وهي تقول: "ياريت تنقطتنا بسكاتك يا طماع.. عمرك ما بتعمل حاجة ببلاش كده!"

ابتسم (الرجل) بخسة وهو يضغط على زر الفتح، ليصدر أزيزًا

عالياَ، ومنها امتزج بصوت المرضى الذين هدؤوا فجأة بعد نوبات ضحك وأنين مختلطين.

أشارت (الممرضة) إلى (سيدة عجوز) يبدو أن المرض تملّك منها، وشعرها الأبيض يخرج من الإيشارب الذي ترتديه من جميع النواحي، فصاحت (الممرضة) في الجميع: "مش عاوزة صوت يا حبايبي.. (الستْ حكمت) بس قريبتها جايبالها حاجة حلوة.. لو قعدتو مؤدبين هتجيبلكم انتم كمان"

هنا بطريقة غريبة انحسر الجميع كل على مكانه.. ثم اقتربت (الممرضة) بـ(سلمى): "يا (سِتْ حكمت).. قريبتك عاوزة تشوفك!"

ثم دفعت بـ(سلمى) دفعة بسيطة: "متخافيش أنا واقفة برة على الباب!"

ابتلعت (سلمى) ريقها بصعوبة؛ فهذا الوضع جديدًا عليها: "إحم.. سلام عليكم يا (سِتْ حكمت).. أنا (سلمى).. إزيك؟"

كانت (السيدة) تنظر للفراغ ولا تحرَك ساكنًا.

اطمأنت (سلمى) لهدوئها، فجلست أمامها على السرير وهي تبتسم لها: "(ست حكمت).. انتي بعتي البيت انتي وابنك لواحد اسمه (عاطف).... ممكن أعرف ليه؟"

هنا انتبهت (السيدة)، وتحركت مقلتا عينيها للحظة لها، ثم عادا لوضعهما.

كررت (سلمى): "ليه يا (ستْ حكمت)؟؟ أنا جاية أساعدك.. البيت ده فيه إيه؟؟"

ظلت (سلمى) تنظر (للسيدة) الشاردة لمدة خمس دقائق والصمت يعم المكان، فأحسّت برجفة الفشل والإحباط وأنه لا فائدة من كل هذا؛ فعقلها مسافر لنطاق بعيد.

فهمّت للوقوف: "طيب هجيلك وقـــ......"

هنا همّت (السيدة) وهجمت على (سلمى) بشراسة ووحشية شديدة: "البيت ده ملعون!! أنا حذرته ومسمعش كلامي!! أنا بحذرك إنتي كمان!! كلكم مبتسمعوش كلامي!! هو مسمعش كلامي!! هههههههه!"

وبدأت تضحك وتبكي في نفس الوقت، وهي متشبثة بـ(سلمى) بأظافرها تضغط على جلدها الرقيق، واللعاب يتطاير منها على وجه (المسكينة)، التي بدأت تبكي من الفزع والألم.

وعلى الفور دخل (الرجل) و(الممرضة) ليخلصاها بصعوبة بالغة من هذا الوضع المميت، وفي تلك اللحظة مدت (السيدة) يدها في يد (سلمى) وناولتها شيئًا غريبًا.

هنا تناست (سلمى) ما حدث في لحظة، وهي تتساءل في حيرة (ما هذا الشيء؟).. لابد أن تغادر فورا لتتفحصه!

فشكرت (الممرضة) و(الرجل) اللذين أشارا لها بالذهاب ناحية الباب، ثم عدّلت من وضع ملابسها وعاد الرجل لها ليعنفها

بسؤاله: "عملتيلها إيه!؟"

أجابت (سلمى) بتوتر وصوت متقطع ، وهي تدس الشيء في جيبها: "ولا... حا... جة والله!"، وهي تلمح المرضى متكومين من الفزع بشكل غريب، خوفًا من (السيدة)، التي احتضنتها الممرضة وهي تنظر لـ(سلمى) بحزن وشفقة!

ثم فتح (الرجل) لها الباب وهو يقول: "طب اتفضلي.. ربنا ستر.. مع السلامة يا أستاذة!"

أومأت له (سلمى) وخرجت بخطوات مسرعة، وعقلها يفكر بسرعة شديدة من التوتر. يبدو أنها على الطريق الصحيح!!

ظلت تسير بتلقائية حتى دخلت سيارة (ليلى) التي نظرت لها بتعجب: "مالك!؟؟ حصل حاجة!؟"

التقطت (سلمى) أنفاسها: "هه... وديني... هه... للبيت"، ثم ابتلعت ريقها ودست وجهها بين كفيها وهي تبكي.

(ليلى): "حصل إيه يا بنتي!!؟ (الولية) عملت فيكي حاجة!!؟ انطقي!"

(سلمى): "الست هجمت عليّا!"

(ليلى): "طب انتي كويسة؟؟ نروح للدكتور ولّا حاجة؟؟"

هزت (سلمى) رأسها نفيَا: "لا لا.. بس محتاجة أروّح آخد المهدئ بتاعي أحسن نسيته!"

على الفور أدارت (ليلى) السيارة: "حالا".. وانطلقت بسرعة شديدة.

ولم تسألها عن تفاصيل الزيارة قط!

*****

في الحقيقة لم تكن (سلمى) في حاجة للمهدئ، لكنها تتوق شوقًا لتعرف ماهية هذا الشيء الذي ناولته (السيدة حكمت) لها، والذي في ملمسه خليط بين الورق والقماش.. يا إلهي! إنها بردية فرعونية!
نظرت لها في الضوء.. بردية عتيقة جدا فيها كتابات باللغة الهيروغليفية ورموز غريبة ومخيفة، وبها تصوّرات لوحوش تتوسطهم صورة لشخص أسطوري تعرفه لكنها لم تتذكر اسمه، وحوله العديد من الحشرات كالتي وصفها (عاطف) في كابوسه.

هذا جعلها بتلقائية شديدة تفتح المذكرات لتكمل:

~~~~~~~~

- «أخدت (حبيبة) معايا.. خفْت أسيبها في البيت. وصلْت لفيلا (الباشا) عشان أطلب منه إني أمشي من البيت المخيف ده.. ما هو مش (سحر) و(ابني) واستنى (حبيبة) تتجنن! ولو مشيت أكيد هيعرف.. وأنا قلت أمشي عدل، وأنا خايف من رد فعله.

~~~~~~~~

ـ " نعم يا روح أمك!؟ انت اتجننت؟"
تلجلج (عاطف) وهو يحاول أن يلتقط مصدر الصوت: "البيت

يا (باشا) فيه حاجة غريبة!"

(الباشا): "حاجة غريبة إزاي؟؟"

(عاطف): "البيت مسكون يا (باشا)"

ضحك (الباشا): "آه قول بأة.. انت عاوز تبيعه بقى تستفيد منه بقرشين بزيادة!"

هز عاطف رأسه (عاطف): "لا يا (باشا) والله!"

صاح (الباشا) ساخطًا: "أومال إيه يله!؟ عاوز تسيب البيت ليه!؟ انت نسيت نفسك ونسيت اللي عملته!؟"

ثم نظر (للمحامي) الذي بصحبته بغضب آمرا له: "عقّله يا (صدّيق) شوية!"

نظر (عاطف) إلى (صدّيق)، الذي أشار له بأن يقطع الكلام: "يا أستاذ (صدّيق) الناس باعت البيت برخص التراب.. البيت فيه حاجات مش طبيعية.. (مراتي) اتهبلت وانتحرت.. وأنا والتانية في الطريق أهو.. وبنشوف حاجات غريبة!!"

(صدّيق): "يا عم اسكت متخربش على نفسك!"

هنا تدخّل (الباشا) وهو يتنهد، ولأول مرة يشعر (عاطف) بتغير طبيعته، عندما أمر (صدّيق): "خلاص يا (صدّيق) خش قله التفاصيل"

هنا تأكد (عاطف) بأنه فعلا هناك شيء مريب في البيت!

قام (صدّيق) من مجلسه وشد (عاطف): " تعالى يا غبي!!"

*****

ابتلع (صدّيق) كوبًا من الماء، و(عاطف) في تلهف لمعرفة جملته الأولى التي بترها: "بِص بأة من الآخر.. الباشا مش هيخليك تسيب البيت ده"

(عاطف) مُحبطًا: "إيه!؟"

فسر (صدّيق): "زي ما بقولك كده.. انسى شغلنا اللي فات بأة وركز معايا.. انت سرعت الدنيا شوية"

"بص.. من كام سنة كده الباشا لقى (بردية) بالصدفة في رحلة في أحد المتاحف الفرعونية.. لما استعان بخبراء عرف إن (البردية) دي فيها تفاصيل عن مقبرة فرعونية جواها خراطيش مدون فيها أسرار لحياة الفراعنة لا إحنا ولا العالم وصلولها.. بس اتسرقت منه.. وهو بعلاقاته عرف إن اللي سرق (البردية) وصل لمكان المقبرة تحت بيت واشتراه.. كان (الباشا) ناويلهم.. بس (الراجل) مات و(مراته) اتجننت وابنهم عرض البيت للبيع بتراب الفلوس"

برق (عاطف) بعينيه وقد تفهّم: "يعني اللي سرقها يبقى (جوز حكمت) المجنونة، والمقبرة دي تبقى تحت الـــ......"

أومأ (صدّيق): "أيوة يا حمار! وعشان الشوشرة (الباشا) خلاك تشتري البيت"

تغيرت ملامح (عاطف) للدهشة الممتزجة بالغضب: "قصدك عشان كده الباشا حطني أنا ومراتي كبش فدا!!!!"

تلجلج (صدّيق) بخبث بيّن: "الباشا ميعرفش إن البيت ملعون كده! ودلوقت هو عاوزك تفك الرصد الفرعوني بتاعها وتنبش المقبرة وتلاقي البردية والخراطيش دي"

(عاطف) والتوتر يزداد بداخله، وصاح من كم الغضب الذي بداخله: "ميعرفش!!؟ يقوم يجرب فيا!!؟ وكمان عاوزني أدور عليها وأفتحها!!؟ يا أستاذ (صدّيق) مراتي ماتت بسببكم.. ومراتي التانية اللي أنا سايبها في العربية برة قربت تفقد عقلها.... أنا ماشي"

نظر له صدّيق ببرود: "براحتك يا (عاطف)"

على الفور تفحص (عاطف) نظرة (صديق) الباردة ثم تركه، وهو يصرخ: "وهسيب البيت ده!"، وخرج مسرعًا، وكاد يعترضه حارس الباشا، لكن بإشارة خفية من (صدّيق) أدرك أنه يريده أن يرحل.

عاد (صدّيق) من الحجرة المجاورة وهو ينظر بفشل (للباشا): "الواد اتهبل"

(الباشا): "يعني مفيش فايدة!؟"

أومأ (صدّيق): "مفيش فايدة"

نفث (الباشا) دخان السيجار: "كلم (ياسر) صاحبه يا (صدّيق)"

أخرج (صدّيق) هاتفه: "أوامر معاليك!"

~~~~~~~~

- «أنا خرجت زي المجنون ورجعت لـ(حبيبة) اللي نايمة جوة العربية، وقعدت أفكر أعمل إيه.. روّحت (حبيبة) البيت القديم، وسجلت فيديو في الاسطوانة التانية بمكان المذكرات اللي بكتبها، وخبيت الاسطوانة الأولى اللي صورتها في الشقة اللي تحت في المذكرة عشان تقرا وتصدقني، وعشان حسيت إن (الباشا) هيقلب عليا.»

- «حطيت الكاميرا تاني في الشقة اللي تحت، وبدأت أسجل بكارت الميموري.. وقررت مألمسهاش إلا وأنا ماشي من هنا، ولازم أمشي في أسرع وقت!»

- «وكان لازم أمشي.. وكلمت (ياسر) يجيلي البيت القديم عشام أحكيله كل اللي حصل؛ عشان حسيت بالخطر.. أنا فعلا خُفْت!»

****
~~~~~~~~

منزل (عاطف) القديم...

صمت (ياسر): "وإيه المشكلة يا (عاطف)!؟"

تعجب (عاطف) ورد بانفعال شديد: "انت اللي بتقول كده!!؟ (بنت عمك) انتحرت بسبب البيت يا (ياسر)!"

تظاهر (ياسر) بالبرود: "يا عم اللهم لا اعتراض! انت مجنون!؟ بيت إيه ورعب إيه!؟ انت صواميل مخّك فكِّتْ ياض!؟"

(عاطف): "يا عم اسأل (حبيبة) عندك أهي هتقولك!"

ثم قام ليَحضر (حبيبة)، التي تجمّلت بصورة غير طبيعية، فتعجب لها: "(حبيبة)!!؟"

ابتسمت (حبيبة) له: "أيوة يا (عاطف)!"

(عاطف) متعجباَ: "مالك!؟ إنتي كويسة!؟"

(حبيبة): "مماليش!؟ وآه كويسة"

تفحصها (عاطف) وقد أحسّ أنها غريبة عليه: "طيب.. (ياسر ابن عمك) عاوز يسلم عليكي"

أومأت (حبيبة): "أنا جاية أهو"

تركها (عاطف) وهو يتساءل (كيف أصبحت في أبهى صورها وقد كانت في الصباح تشبه المدمنين!؟)

*****

انتفض (ياسر) من مكانه عقب رؤيته لـ(حبيبة)، التي لايزال يطمع فيها: "(حبيبة).. إزيك يا (بنت عمي)؟ انتي كويسة؟"

ابتسمت (حبيبة): "الحمد لله"

(ياسر): "أومال إيه اللي بيحكيه (عاطف) ده!؟ إن البيت جننك!"

قهقهت (حبيبة): "البيت يجنني!؟ دنا أجنن بلد"

ذهل (عاطف) مما يسمعه، وهو يتابع حركاتها التي بدت مصطنعة.

هنا نظر لها (عاطف): "(حبيبة).. فيه حاجة مخوفاكي إنك تقولي الحقيقة؟"

نظرت له (حبيبة) عن جهل: "حاجة إيه يا (عاطف)!؟ أنا كويسة.. هما شوية تعب الصبح من السخونية وراحوا لحالهم.. انت عارف برد الشتا بيبقى أوفر"

(عاطف): "برد الشتا!!؟"

نظر له (ياسر): "هااه يا (سي عاطف) إيه ردك!؟؟"

تراجع عاطف وقد أدرك أن هناك شيئا ما غريبا: "هه!؟ لا ولا حاجة خلاص يا (ياسر).. أنا بس هسيب البيت يومين أخلّص حاجة أخيرة للباشا عشان ما أربطش ذمتي بيه، وبعديها أرجع على طول!"

أومأ له (ياسر): "اللي تشوفه يا (عاطف).. بس انت كده هتضيّع علينا فرصة العمر"

صاح (عاطف) بضيق: "بلا فرصة عمر بلا بتاع! خليها ليك لوحدك"

نظر له (ياسر) بضيق: "جرى إيه يا (عاطف)!؟ هتقلب عليّا أنا كمان!؟"

ثم صمت لثوان وتركه ليغادر، و(عاطف) لا ينبس ببنت شفة، وهو يتابع (حبيبة) التي استدارت صاعدة للأعلى، فأمسكها من تلابيبها بعصبية غير موعودة: "انتي مقولتيش ليه اللي حصل!!؟"

برقت له (حبيبة) متعجبة: "أقوله إيه يا (عاطف)!!؟ مالك متغير ليه!؟ سيبني! ماسكني كده ليه!!؟"

فانتبه أنه يمسك بها بقوة شديدة ولأول مرة، فأفلتها، عندما بكت وصعدت للأعلى وهي ترمقه برعب شديد!

هنا أحس (عاطف) بصداع رهيب، وقد أحس أن البيت يقصد أن يصيبه بالجنون هو وليس (حبيبة)!

لكنه حاول أن يصفّي ذهنه، إلى أن قفزت إليه فكرة... بسبب ما أحسه اليوم.

*****

نظرت (سلمى) للأعلى لحظة: "يعني (الاسطوانة اللي جوة) هي اللي بيعترف فيها (عاطف)!"

(التانية) هي اللي عانها في المذكرة وصور بيها أول تصوير للشقة!

كده فاضل (كارت الميموري)!

برقت بعينيها، ثم أسرعت للمنضدة لتتفحص الكاميرا مرة أخرى، فلم تجدها!

*****

في نفس الوقت...

نظر (مراد) للأعلى لحظة: "الجثة لـ(حبيبة عبد التواب).. أخت (سحر)"

يعني (سحر) دي انتحرت ودفنوها.

و(حبيبة) مدبوحة جوة البيت.. والطب الشرعي بيقول إنها مقتولة قبل انهيار البيت.

ثم نادى (المجند) بالخارج: "يا (غنيم)!! ولا يا (غنيم)!"

هرول (غنيم) بسرعة وهو يؤدي التحية العسكرية: "أيوة يا

باشا.. أوامرك"

(مراد): "خلي (الواد) الجديد بتاع البوفيه اللي ملوش شغلانة ده يعملي قهوة سادة بن تقيل"

أومأ (غنيم) وهو يلقي التحية مرة ثانية: "تمام يا باشا"

استوقفه (مراد) قبل أن يغادر: "ولا يا (غنيم).. انت منين؟"

التفت (غنيم) وهو يضحك بشاربه الكثيف: "من سوهاج سعاتّك!"

(مراد) آمراَ: "طب هات القهوة وتعالى.. عاوز أسألك على حاجة بخصوص البيت اللي وقع ده!"

ضحك (غنيم) بثقة: "زي ماجولتلك يا باشا.. بيدوروا على مساخيط، صوح؟"

أومأ (مراد) له: "آه.. لقينا ورق سحر جنب الجثة عليه دمّها ومكتوب فيه فك الرصد الفرعوني.. هات القهوة عشان تقولي تفاصيل أكتر عن الموضوع ده"

أومأ (غنيم) وهو يغادر مسرعًا إلى خارج المبنى إِلِى (عامل البوفيه) غريب الملامح: "(البِاشا) بِيجُولّك تعملّه جهْوة سادة بون تَجِيلْ... ويا ريت تظَبيطها عشان شكلي هاخد أجازه أشوف فيها الولية!"

أحس (غنيم) بالثقةِ بأن (مراد) سيكافئه بأجازة كما وعده إذا كان تخمينه صحيحًا.

*****

جلست (سلمى) القرفصاء باحثة عن الكاميرا.. لم تجدها أسفل المنضدة!

وقد أصيبت بالحيرة!

أين وضعتها!؟؟ أين ذهبت!؟؟ أحست بارتفاع في ضغطها لا تدري من الجلسة أم من التوتر.

وبعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى لحافة الجنون، لمحتها.. أسفل الأريكة.

وهنا تنفست الصعداء، وسرعان ما التقطتها لتتفحص بيت الكارت بها.

لكن لم يكن للكارت وجود!

وهنا تراءى لها تخمينان لا ثالث لهما: أن السر به، وأنه بصحبة الخيّال (خالد قرافة).

فكرت: هل تزوره مرة أخرى وتواجهه هذه المرة؟؟

أم تكمل لعل لاختفائه سر بالمذكرات؟؟

كان الأسهل عليها أن تُكمل!

ثم فتحت.... لتقرأ:

~~~~~~~

- «أنا طول عمري كنت بحس إن (ياسر) بيحب (حبيبة).. بس كنت شايف أنه مايستاهلهاش.. نظرته ليها اليوم ده مكانتش طبيعية.. قررت أراقب (ياسر) اليومين دول عشان حسيته مش طبيعي زي (حبيبة).. ماهو أنا مش مجنون يا عالم!»
- «كانت صدمتي لما لقيته خارج من فيلا (الباشا) وهو بيتكلم في التليفون.. سمعت طشاش كلام كده وهو واقف وأنا ورا الشجرة.. صوته دايما عالي بطبيعته»

~~~~~~~

(ياسر): "حبيبتي.... انتي كنتي هايلة!"

صوت يشبه نبرات صوت (حبيبة) على الهاتف: "تفتكر حس!؟"

ضحك (ياسر): "طبعا لأ، وأكيد صدّق إن دي تهيؤات.. وده هيخليه يصرف نظر عن إنه يسيب البيت أو يتنازل عنه.. مش قبل ما ناخده أو ناخد اللي تحته بدل ما (الباشا) يجيب حد تاني للمصلحة دي.. (عاطف) لازم يبقى في عبنا لإما هيفضحنا، ومش قبل ما نخلص المهمة دي".. ثم اختتم بجملته التي سمعها (عاطف) بوضوح: "أصله مش وش نعمة الفقري"

(حبيبة) بتوتر: "(ياسر) خد بالك.. البيت فعلا فيه حاجة مش طبيعية.. أنا سمعت كلامك ومثّلت إن مفيش حاجة.. بس أنا بقولك البيت مش طبيعي.. ده جنن (سحر) وأنا عشان قلبي جامد شوية استحملت.. أو عشان (عاطف) خرجني من البيت، ولو...."

قاطعها (ياسر): "ما هو ده له حل يا بت متقلقيش.. إحنا لازم نلاقي اللي تحت وهيبقى معانا فلوس كتير.. نفذي بأة اللي هقولك عليه.. (عاطف) مسافر صح؟"

(حبيبة): "صح!"

(ياسر): "خلاص.... هاتي المفتاح اللي معاكي النهاردة.. هنقابلك أنا و(الشيخ صبيح) قدام البيت بالليل استنينا"

(حبيبة): "مستنياك!"

وأغلق المكالمة.

~~~~~~~

- «مش محتاجة فهلوة إن دي (حبيبة).. كنت حاسس إن بصتها لـ(ياسر) برضه مكانتش طبيعية.. وشايلة سر!»

- «لما سمعت كلام (ياسر) معاها وأنا مستخبي مستغربتش، وعرفت إنه ورطها في حاجة.»
~~~~~~~

- «مشيت وراه لغاية البازار، وكان مستني (راجل شيخ) ملامحه مريحتنيش.. كان جاله على البازار قرب المغرب. استنيت من بعيد لما مشيوا وقفلوا البازار. قعدت أكتب في المذكرات اللي سمعته وشفته وأنا حاسس إني دي آخر مرة هشوف فيها المذكرات دي.. وعنتها كويس المرة دي.... ورايح وراهم أهو!»

*****

توقفت المذكرات!

وتوقف قلب (سلمى) من الصاعقة!

ثم تحدثت مع نفسها: "يا خبر! لا لا... فين الباقي يا (عاطف)!؟ فين (كارت الميموري)!؟ حصل إيه بعد كده!!؟؟"

وكأن المحيط من حولها استمع لسؤالها فأتاها بالإجابة.. بأغرب مما تخيلت!

إذ أصدرت الكاميرا المعطوبة أزيزًا غريبًا..

فالتقطتها (سلمى) برعب رهيب.. وهي تلمح بيت الكارت..

وهو يبصق نصف الكارت أمامها.. بعد أن كان فارغًا!!

أحسّت (سلمى) برعب مختلط بفضول رهيب.

كان الوقت صباحًا..

وهي الآن بحوزتها (البردية) التي سرقها زوج (حكمت)، والتي يبحث عنها (الباشا)، ومن الواضح أنه لم يعثر عليها بعد، وهذا (الكارت) الذي يحتاج لجهاز لقرائته، وهو ليس لديها الآن.

قررت أن تذهب للمتحف المصري لعلها تجد الإجابة.. وأن تبتاع قارئًا لهذا الكارت..

وهي تشعر بحماس رهيب!

يبدو أنها تقترب من الحقيقة.. بعيدًا عن (عاطف) الذي أصبح بطلًا لمذكراته.. وهي تأمل أن تعرف ما حدث له أيضًا!

*****

وأخيرَا قررت (سلمى) أن تستخدم سيارتها التي أعيد تصليحها، وذلك بعد صراع نفسي رهيب. وأثناء قيادتها كانت الذكريات الشاردة للحادث تتداخل مع الحدث الذي بصدد كشفه..

ولكن....

تذكرت شيئا ما.... خلاله...

***

ـ " بيهددوني يا (صدّيق)... بيهددوني أنا و(مراد)....."

أجاب (صدّيق): "اهدي يا (سلمى).. حاولي تبعدي وتفضّيها

سيرة.. الناس دي خطر"

(سلمى) وهي تتجاهل نداءات (دارين) الملحّة: "أنا اشترتلهم سلاح!"

(صدّيق): "الموقف بقى خطر عليكي يا (سلمى).... (مراد) عارف؟"

(سلمى): "لأ (مراد) ميعرفش حاجة.. أوعى تقوله حاجة يا (صدّيق).. أنا مش هسكتلهم.... يا أنا يا همّا!"

(صدّيق): "انتي فين؟؟"

(سلمى): "اتخانقت مع (مراد) ولسّه خارجة من البيت.... أنا عند التقاطع اللي قبل........"

قاطعها نداء (دارين): "ماااااميييي!! ماااااامييييي!!"

صرخت (سلمى) فيها: "قلتلك ١٠٠ مرة لما بتكلم في الفون متكلمنيش ولا تنادي عليا!!"

وكادت أن تصدمهم سيارة.. أوقعت الهاتف لتغلق المكالمة...... في وجه (صدّيق) الذي عاود الاتصال.

وبمجرد أن التقطته هدأت نوعا ما، والتفتت (لابنتها) وشرعت أن تبتسم، لكنها لمحت في خلفية (دارين) تلك السيارة التي تقصدهما، وبداخلها السائق الملثم.. عندما سقطت التلثيمة عن

وجهه بشكل جزئي.

وكان الاصطدام مروّعا بحق من ناحية (دارين)!

وكان صوت المكابح قويا جدا أثناء هروب السيارة!

لقد عادت (سلمى) لرشدها لتقف تلقائيا بالسيارة في توتر بالغ، وتعطل المسيرة التي خلفها، والتي كادت أن تحقق حادثًا آخر. وأطلقت إحدى السائقات بدينة الجسد من خلفها سيلًا من السباب كالمعتاد لها: "انتي يا حمارة ياللي مبتعرفيش تسوقي!! يلعن أبو اللي علمهالك!!"

ثم تقدمتها وبصقت في وجهها.

لم تبالِ (سلمى) بما حدث، لكنها لمحت أنها اقتربت من المتحف المصري.

فتحركت مرة أخرى حتى وصلت، وهي تحاول أن تهدأ من روعها.

فالذكرياتِ تعود إليها.... حاولت تذكر وجه (من صدمها) لكن كان صعبًا عليها.. كلما حاولت كان يصيبها دوار شديد.

في النهاية، فشلت وأنهكها التذكر، ففتحت حقيبتها لتتناول ما يذهب عنها الألم من عقاقير.

****

المتحف المصري بالتحرير...

ارتفع صوت (هبة) المرشدة السياحية والخبيرة بعلم الآثار وهي تصرخ لرؤية (سلمى) أمام مجموعة من السياح: "واااو! بنت اللذينا! فينك؟؟ وحشتيني!"

ثم ألقت بجسدها في أحضانها وقبلتها قبلتين.

ردت عليها (سلمى) ومازالت تحاول أن تستعيد نفسها من الإجهاد: "انتي اللي إزيك يا (هبة)؟؟"

(هبة): " أنا تمام وانتي؟؟"

(سلمى): "أنا عارفة إني مقصّرة معاكي.. بس محتاجاكي في قصة غريبة"

(هبة): "انتي عارفة إنّي بموت في القصص الغريبة.. وإن مكنتش أشتغل باحثة في منبع القصص والحضارات الغريبة"

(سلمى) وهي تتلفت حولها: "طيب ممكن نتكلم في حتة على انفراد؟"

(هبة) وهي تشير: "مكتبي من هنا.. اتفضلي! وأنا هخلص الـTOUR دي وأجيلك على طول"

*****

بعد قليل...

برقت (هبة) بعينيها: "يا نهاااار!! (سلمى)! انتي جبتي منين البردية دي؟؟"

تلجلجت (سلمى) باحثة عن كذبة فلم تجد: "واحدة ادتهالي!"

(هبة) وعيناها لا تبعدان ثانية عن البردية وهي مفرودة أسفل عدسة الفحص: "عارفة البردية دي بتتكلم عن إيه يا (سلمى)؟؟"

توترت (سلمى): "عن إيه؟؟"

(هبة): "البردية دي كتبها (حورس ابن أوزوريس).. فيها أسرار عن مكان مقبرة (ستْ)* (إله الظلام والفوضى والعواصف عند الفراعنة).. وإن جوة المقبرة دي أسرار عن الفراعنة محدش اكتشفها لسة في العالم!"

تعجبت (سلمى): "مين (ست) و(حورس ابن أوزوريـــ... إيه)!؟ ممكن توضحي؟ مش فاهمة!"

جلست (هبة) وهي متعجبة من هذه الفرصة، وقلبها كاد أن ينخلع من الفرحة: "هقولك!"

****

عهد الفراعنة...

على مائدة بها أشهى وأطيب المأكولات، تتراقص عليها خمس راقصات بأجسادهن الممشوقة العارية، يَسِرْن بحرفية شديدة دون أن يَسقطْن أو يَضرَرْن بطبق من تلكَ المأكولات، وكأنه عرض عجيب يوتر الجميع خوفا أن تنقلب المائدة ويتناثر طعامها... ولكن العرض سار على ما يرام!

وكان ختام العرض أن صفق الحاكم (أوزوريس) المحبوب لبدء الوليمة التي أعدها لزواره، وبعد أن أحاطتهم هالة من عطر الجميلات اللواتي رقصن عليها بتلك الاحترافية.

كان (أوزوريس) يعد الحفلة لكبار الشخصيات والكهنة الشرفاء بقصره الملكي، وفوجئ بزيارة غير متوقعة لأخيه (ست)، الذي عاد من رحلة دامت سنوات، وقد توقع البعض أنه تاه في الصحراء وأكلته وحوشها الضارية.. ولكنه عاد وبجسد تملؤه الصحة والكمال، وقد اقترب لصف الراقصات الجميلات ضاحكا لهن: "بحق جب* (إله الأرض) لقد اشتقت إليك يا (أخي)"

نظر له (أوزوريس) وقد أشرقت الضحكة في وجهه: "(أخي العزيز).... حمدا لنوت* (إله السماء) على سلامتك.. ثم اقترب ليحضنه، وبادله (الثاني) بحضن حميمي"

أكمل (أوزوريس): "لقد جئت في وقتك يا عزيزي.. لقد كنا بصدد تناول وليمة أنا والرجال.. تفضّل"، ثم صفق للجميلات

ليخلعن عن (ستْ) ملابسه ليصبح حُرّاً ويجلس بجانب (أخيه) ويتناولا الطعام ويعرفه على جميع الزوار بالاسم.

حتى انتهى الجميع من الوليمة.

فوقف (ستْ) وهو يشير لأعوانه بالخارج: "لقد باركني (جب) بعد رحلتي التي عانيت منها وذُقت المرار، لأعود من أرضي التي أصبحتُ حاكما لها عزيزي (أوزوريس).. وطالما حلمت بإحضار هدية لك مصنوعة خصيصا لك.. وبما أننا نفس الطول سأريها لك حتى آخذ رأي الحاضرين"

ابتسم (أوزوريس) له بسعادة: "يااه يا أخي إني أحبك.. واشتقت إليك فعلًا"

بادله (ستْ) الابتسامة وهو يشير لأعوانه بإدخال الهدية، وسط موسيقي يعزفها رجاله بشكل استعراضي.

هنا دخلت (إيزيس)* (أختهما) و(زوجة أوزوريس) التي أحبته وأحبها، والهدية تدخل وهي تتعجب: "(ستْ) هنا!؟"

التفت لها (أوزوريس): "أخونا (ستْ) هنا فعلا يا (إيزيس).. أتصدقين هذا؟ لقد ظننا أنه...."

أكملت (ايزيس): "مات!"

نظر لها (ستْ) بغضب، لكن الملامح تلاشت بسرعة شديدة، وهو يتقدم للهدية بخطوات استعراضية بعد أن أزال الرجال

عنها ملاءة ذهبية الصنع والمشغولات، وعليها اسم (أوزوريس)، ليتضح أنها تابوتا حجريا يبدو أنه مرصع بالأحجار الكريمة والذهبيات: "سأريك أنا أولًا يا أخي العزيز"

ثم نام بالداخل وذراعاه متقاطعان... ثم أغمض عينيه لبرهة ثم فتحهما.

بعدها نهض وهو يشير (لأخيه): "حسنا دورك يا (أوزوريس)"

تحرر (أوزوريس) من ملابسه التي تعوق دخوله، وناول صولجانه وتاجه المذهبين إلى (ستْ)، الذي ابتسم وهو يقول: "حسنا هذا التابوت هو مركبتك للعالم الآخر.. وبه مشغولات ذهبية لا تقدر تكفيك لتبتاع حياة ملكية غير الكنز الذي سيبقي معك.. أطال رع* (إله الشمس) في عمرك يا (أوزوريس العظيم)"

ابتسم (أوزوريس) وهو يستلقي بداخل التابوت، ليجد أنه مناسب جدا لحجمه: "يا أخي لقد صنعته بدقة ليناسبني تماما!!"

ضحك (ستْ) بخبث: "وأي دقة عزيزي!؟ انتظر، في الغطاء مفاجأة.. سأريها لك.."

هنا أحسّت (إيزيس) بحدسها بقلق ما غير طبيعي.. عندما ازداد أعوان (ستْ) حول الجميع.

وبعضهم يضع الغطاء.

قال (ستْ): "اقرأ ما هو مكتوب لك يا (أخي)"

غطى الرجال التابوت بالكامل وأخذ (أوزوريس) يقرأ والكلام يتلألأ / يضئ في الظلام بطريقة غريبة:

«بحق (نوت).... الذي ترك (أخي) للصحراء الشاسعة ليبحث عن منقذ.... وأنا (أوزوريس) (أخيه) الذي لم أسع للبحث عنه.... أموت هنا في هذا التابوت مقطعة أشلائي حتى لا أحيا مرة أخرى في جوانب العالم الآخر، وليكن الجميع شاهد على هذا»

صرخ (أوزوريس) من الداخل وقد تفهم المؤامرة: "ما هذا!!؟ لقد بحثتُ عنك أيها الغبي!! لماذا!!؟؟"

ضحك (ستْ): "بل أنت الغبي.. أنا أستحق هذا الملك. لقد تمتعتَ فيه غارقًا بينما أنا أغرق في الرمال المتحركة.. أغوص فيها مقتربا من الموت.. وتزوجتَ من أحبها... حتى أنقذني (جب) من موت محقق.... وأنا أسعى للانتقام منك.. هههههههه وداعًا أيها الحاكم السابق.... وداعًا بلا رجعة.... يعز علي ألا ألقاك في العالم الآخر"

صرخت (إيزيس): "أيها الوغد!! أيها الخائن!! يا حراس! اقتلوه!! وانقذوا زوجي!"

نظرت حولها فلم تجد أحد غير الجميلات اللائي كُنّ يرقصن،

وهن يتشكلن بهيئتهن الحقيقية.. وحوش ضارية تتغذى على جميع الحراس بدموية شديدة، وقد تلاشت أشلائهم في لمح البصر داخل بطونهن.... و(إيزيس) تنظر برعب شديد مما يحدث.

هنا ابتسم (ستْ): "لقد روضتهن.. إنهن أتباعي.... انظري يا (إيزيس).. انظري يا من عشقتها ولم تُقدِّر، واستمعي إلى صراخ (زوجك) المحبوب لأن هذا الصوت هو آخر ما ستسمعينه منه"

ثم تقدم إلى زر بجانب التابوب، وهو لا يبالي بصرخات وطرقات أخيه القوية: "وداعا أيها (الأخ الغبي أوزوريس)"

صرخ (أوزوريس) صرخة أخيرة عندما ضغط (ستْ) على الزر، لتخرج نصال حادة من الداخل لتحيل (أوزوريس) إلى أشلاء ويموت في الحال.

وبدأت تنذ الدماء من جوانب التابوت على شكل هندسي غريب، وهنا صرخ (ستْ) وهو يرتدي التاج ويرفع صولجانه للأعلى:

"ليكن المحتوم... فأنا (ست)

حاكم مصر المزعوم...

الذي لن يرفع عنها الهموم...."

ثم تقدم (لإيزيس) ليشدها من شعرها وهو يشير لرجاله بأن

يرفعوا الغطاء: "انظري إليه!"

نظرت (إيزيس) وهي منهارة إلى رأس (أوزوريس) المنفصلة عن بقية أشلاء جسده وعلى وجهه أمارات الفزع، وقد انطفأ ضوء عينيه.

ضحك (ستْ) بشر وهو يأمر: "فلتجهل كل قطعة مدفونة من جسده الممزق عن مكان دفن الأخرى.... ادفنوا أشلاءه في أرجاء مصر حتى لا يعود"

"وبحق الآلهة التي لن تساعده مرة أخرى..

أنا (ستْ) أعين نفسي حاكمًا على مصر....."

حتى ضربت صاعقة في سماء مصر، وخيم الظلام واقتربت عاصفة رملية شديدة هاج على إثرها نهر النيل، فأكمل: "فلتكن الفوضى.... فوضى (بعل) ملك الجان وإلهنا الحالي، الذي لن يهدأ حتى نقدم له القرابين!"

*****

نظرت (سلمى) إلى (هبة) برعب: "كل ده مكتوب في البردية!!؟ إيه القصة الغريبة دي!!؟"

هزت (هبة) رأسها: "NO.... دي مش قصة، دي أسطورة.. وده عشان أفهمك اللي مكتوب في البردية"

(سلمى): "اللي هو؟؟"

(هبة): "الأسطورة خلصت إن (ايزيس) جمعت أشلاء جوزها وعملت سحر ليه قدرت بيه تحييه لمدة يوم.. وSORRY يعني جابت منه (حورس) بعديها مات بلا رجعة.. فحنطته وبقى هو (إله الحساب). في حين إن (ستْ) هو (إله في الأرض للظلام والفوضي والصحراء والعواصف) تحت عبادة (بعل) (ملك ملوك الجان)"

"بعديها دربت (حورس) وزرعت جواه بذرة الانتقام لـ(أبوه أوزوريس)، فحارب عمه (ستْ).. وعشان قوة (حورس) وتكاتف الآلهة معاه انتصر و... فقد عين من عينيه بعد المعركة... بقى أعور يعني!"

"ولكن (ستْ) كان مجهّز نفسه.. كان متعاقد مع أنفار الجن الأحمر اللي مسخرهم إن يكون ليهم دور بعد موته.. إنهم يخفوا المومياء بتاعته وأسراره في مقبرة ويكملوا دوره في إثارة الفوضي والظلام والعواصف في مصر"

"(حورس ابن أوزوريس) عرف مكان المقبرة، فكتب البردية دي وحذر من خطورة الاقتراب من المقبرة لأنها تحت حماية الجن.. وخوفًا منه أو من أتباعه إنهم ييجوا ويقطعوا جسمه لأشلاء زي ما عمل هو في (أبوه) زي ما حكيتلك.. (ستْ) كلف الجن دول إنهم ينقلوا المقبرة دي كل ١٠٠ سنة من مكان لمكان حولين محيط معين"

"البردية دي فيها معادلات وصل ليها (حورس) بتحدد المكان اللي هتتنقل فيه بنمط معين، وأنا عرفت أفك سرها، وعرفت إزاي أحدد المكان الجديد اللي هتتنقل فيه المقبرة.... بس لازم أعرف المكان اللي قبله الأول"

(سلمى): "لو قلنا إني عارفة المكان الأول اللي كانت فيه البردية"

أخرجت هبة خريطة صغيرة وهي تقول: "قوليلي فين بسرعة"

نظرت (سلمى) للخريطة وأشارت: "هنا مكان بيت (الستْ) اللي ادتلي البردية"

نظرت هبة وهي متشوقة ثم التقطت قلمًا وبدأت تكتب معادلات هندسية وأرقام وهي تنظر للخريطة ثم وضعت دائرة صغيرة على مكان قريب من بيت (الستْ حكمت): "يبقى غالبا مكان المقبرة إما في البيت اللي قلتيليي عليه أو... هنا"

صرّحت (سلمى): "البيت ده وقع على فكرة، وكانوا بيقولوا إن فيه حفرة كبيرة لقوها!"

قفزت (هبة) من فرط السعادة وهي تحتضن (سلمى) وتقبّلها: "يبقى المقبرة اتنقلت للمكان الثاني.. أنا مش عارفة أشكرك إزاي! انتي جيتيلي من السما! ده هيبقى اكتشاف هايل!"

(سلمى) وهي تبادلها ابتسامة بقلق: "إزاي عرفتي إنها اتنقلت!؟؟"

(هبة): "مكتوب إن المقبرة لما بتتنقل بيحصل زلزال في محيطها والأرض بتنهار"

ثم صمتت برهة: "(سلمى).. ممكن تسيبي معايا البردية دي؟"

(سلمى) وعيناها على الخريطة: "مفيش مشكلة"

التفتت (هبة): "طب هاتيها"

تعجبت (سلمى): "هاتي إيه!؟ البردية معاكي يا (هبة)!"

(هبة) وهي في حيرة: "I SWEAR... كانت هنا أنا لسة مطلعة المكان في الخريطة و....."

قاطعها تصاعد دخان كثيف أعلى سطح مكتبها... إنها البردية تحترق ذاتيًا!!

صرخت (هبة) في رعب: "البردية اتحرقت!!!"

لمحت (سلمى) ظلا غريبًا فابتعدت إلى باب المكتب وهي تواسي (صديقتها) التي أصيبت بالحسرة: "خلاص يا (هبة).. أديكي عرفتي المكان"

بكت (هبة): "اللعنة شكلها بجد! محدش هيصدق إلا والبردية في إيدي يا (سلمى).. أنا عاوزة أقابل (الستْ) اللي ادتهالك!.... PLEASE!"

(سلمى) متوترة وهي تجاريها: "خلاص بكرة هجيلك

ونروحلها!"

جلست (هبة) وقد أصابها الهم: "أنا مش عارفة إزاي اتحرقت!"

(سلمى) وهي تشعر بخطر ما بينما تغادر: "يمكن خير عشان محدش يتلعن من القصة اللي حكيتيهالي دي"

(هبة) وهي تحاول أن تقتنع: "ممكن! خلاص ميعادنا بكرة.. هتصل بيكي.. نفس الرقم بتاعك؟"

سلمى وهي على الباب وكذبتها صريحة للجميع ما عدا (هبة): "آه طبعا.. شكرا يا (هبة).. ميعادنا بكرة"

خرجت (سلمى) في قلق بالغ وهي تدور برأسها باحثة برعب عن الظل الذي غادر للتو، فلم تجد أحدا.. فقررت أن تبتاع الشريحة القارئة للكارت وأن تعود، وقد نشلت في حين غفلة الخريطة من مكتب (هبة) دون علمها، وقبل أن يستهدفها هذا الظل الغامض.

أما (هبة) فقد جلست وهي حزينة، وقد انتبهت لإختفاء الخريطة، وفجأة أحست برجفة شديدة.. على إثرها تناولت القلم وكتبت على ورقة بيضاء بخط مهتز جملتين، ثم دست القلم في عرق رقبتها النافر، والدماء تتناثر على حائط الحجرة وعلى مكتبها، وبجانبها الرسالة التي خَطّتها، والتي تحمل في سطورها اعترافًا بالانتحار.

*****

جلست (سلمى) أمام آخر أمل لها لمعرفة الحقيقة، آملة أنها على الطريق الصحيح.

نظرت نظرة أخيرة للكارت وإلى مساحته الكبيرة، ثم دسته في القارئ USB، ثم إلى جهاز الحاسب.

لاحظت وجود فيروس.. اسمه غير مألوف، لكنها استمرت؛ ففضولها يحترق شوقا لمعرفة ما بالداخل، فتجاهلت رسالة برنامج حماية جهازها وبذلك سمح لها بالولوج إلى محتويات الكارت.

◄ ملف فيديو واحد فقط..

ضغطت عليه وبدأ التشغيل...

الصورة تبدو أنها من الشقة السفلية بداخل الحجرة المخيفة التي شاهدت (ابنتها) فيها.

ولكن الغريب أن الكاميرا مرتفعة قليلة.. كأن هناك (شيئا ما) خفيا يمسك بها دون أن يراه (الجميع).

ارتعدت من الخوف؛ فما رأته الأيام السابقة يستحيل أن يصدقه عقل.

ولكنها صممت أن تكمل..

رغم أنها أحسّت بظل ما يمر من خلفها بسرعة شديدة.. لمحته من انعكاس الشاشة!!

****

الفيديو...

شاهدت (حبيبة) (ياسر) وهو يقف أمام بوابة المنزل، وبجانبه (الشيخ صبيح) الذي يبدو كرجل وقور يحمل بداخله ذئب مسعور لكل ما يحمل كلمة نقود، يبدو كما يدعي ممن يمارسون السحر تحت اسم الخير.. وفي الحقيقة جميع أعماله تندرج تحت بند المحرمات والسحر الأسود شديد القتامة.

لم يلمح (ياسر) تلك النظرة غير الطبيعية التي ارتسمت على وجهه عندما شاهد (حبيبة) وهي تقول: "(ياسر).. أنا صحيح مباخفش بسرعة، بس البيت ده فيه حاجة بجد.. لازم نخلّص"

ابتسم (ياسر): "أكيد يا حبيبتي.. (الشيخ صبيح) جاي يخلصنا كلنا"

نظرت (حبيبة) إلى (الشيخ صبيح)، الذي انتهك ملامح وجهها بنظرات التلذذ دون أن يلمحه (ياسر)، وكأن (الثاني) مغشي عن رؤية نظرات وجهه ومسخر له بالسحر.

فابتلعت (حبيبة) ريقها وهي تقول: "إزيك يا شيخنا؟؟"

(صبيح): "أهلا يا (حبيبة)"..

(حبيبة) وهي تنظر يمينها ويسارها لتتأكد من عدم وجود زاحفة بالليل تشاهدهم، ودست المفاتيح لتفتح بوابة المنزل: "اتفضلوا"

خلع (الشيخ صبيح) عمامته، لتبدو ملامحه مكتملة بصلعته وقبح وجهه، وقد أصبحت (حبيبة) تهاب من النظر المستمر إليه، أما هو بملامح باردة ينظر لها ويأمر (ياسر): "الفرخة اللي قلتلك عليها جبتها؟"

أومأ (ياسر): "تمام، وأكلّتها من بيض الجعران اللي اديتهولي"

ابتسم (صبيح): "عاااال العاااال!"، ثم أخرج من عباءته أوراقًا مطلية بطلاسم دموية مخيفة، ثم أمر بإحضار العديد من الشموع مبررا: "النور بتاع الكهربا مش هينفع مع الجن، بيدايقهم.. لازم نحسّسهم بالأمان ونجيبلهم نور من جهنم... من النار"

على الفور أطلقت ساقيها للريح وقد كانت في انتظار الفرصة للمغادرة؛ لقد أخافها الرجل أكثر من الأصوات والظواهر الغريبة التي زادت في الآونة الأخيرة، ولكن (صبيح) يختلف؛ يبدو أنه يعلم ما يفعله جيدًا؛ فلم تشعر إلا وهي بالأعلى وقد أحضرت كل شمعة وجدتها ثم هبطت.. وبدأ (صبيح) عمله..

أخذ يوزع الشموع بطريقة هندسية، ويشعلهم، ثم قام بذبح الدجاجة بلا رحمة وأمسكها ينثر دماءها على الحائط وهو يتمتم بجمل غير مفهومة، ثم يرسم بإصبعه بعض الرموز الفرعونية مشابهة للتي ارتسمت على الحائط، و(حبيبة) تمسك بيد (ياسر) الذي انتقل الخوف له هو أيضا.

ثم تربع (الشيخ صبيح) في وسط تشكيلة الشموع وهو يصيح

فيهما: "تعالوا اقعدوا!"، ثم وضع الدجاجة المسكينة في صحن أمامه ورائحة الدماء تبعث الاشمئزاز في أنفاسهما.

نفّذا أوامره وجلسا، ثم مد ذراعيه لهما: "امسكوني وكملوا الدايرة"

ثم أكمل بصوت محتد مؤكدًا: "غمضوا عنيكم.. واوووعوا تفتحوها مهما حصل!"

ارتعد (الاثنان)... وأغمضا عينيهما.. في انتظار المجهول..

فإن كان الأمر يتعلق بالنقود فليتحملا!

وإن كان الأمر تمثيلًا فقد برع فيه (صبيح)، الذي تحدث بلغة غريبة غير معلومة المخارج تبدو كشريط مقلوب.

وبدأت لفحات من الهواء البارد تخرج من الحفرة التي زادت من تلقاء نفسها، ثم أحس (ياسر) بيد (حبيبة) تنسحب من يديه، دون أن تصرخ أو تُبدي أي رد فعل.

وقد أحس (صبيح) أنه سيفتح عينيه فنهاه: "اوووعى تفتح عينك إلا لما أقولك!"

أحس (ياسر) بالقلق والفزع يزدادا بداخله..

الغريبة أن (عاطف) بالخارج كاد أن يدخل، لكن أوقفه شيء ما غريب جمّده مكانه أحس بعده بالتشتت الفكري.. يعلم ما

يحدث لكنه تناسى ما يحدث أيضا! يبدو أن هناك ما يضغط على عقله يأتيه الوعي تارة وتارة يطير عنه!!!

استمع إلى (صبيح) بالداخل وهو يصيح: "يا نفر (بعل) الأحمر.. أعطيك الأمان والراحة فلتدخل أرضي!"

ثم ضغط (صبيح) على يد ياسر بقوة: "افتح عينك واوعاك تتكلم خالص ولا تسأل!"

فتح (ياسر) عينيه، ففزع من مشهد (حبيبة) التي مالت على الحائط بجانب الحفرة وهي تتلوى بعنف شديد كاد يفتك بعظام جسدها، ثم بدأت بالصياح بصوت غير صوتها، صوت مخيف، يوقظ الموتى!! وبدأت تطرق برأسها طرقات رتيبة مخيفة.

فكرر (صبيح) جملته: "يا نفر (بعل) الأحمر...."

أسكته (الصوت): "عاوز إيه يا بشري انت؟؟"

(صبيح): "اتعدل في كلامك إما هرجعك تحرس المقبرة تاني!"

ضحك (الصوت) وكأن (حبيبة) تتحدث: "انت بتهددني يا (صبيح)!؟"

(صبيح) ببرود: "شيخ صبيح!"

قهقه (الصوت) مستهزئًا: "شيخ!!؟"

هنا ضغط (صبيح) على جسد الدجاجة، فتألمت وتأوهت (حبيبة)، لتألم الصوت تحديدًا بداخلها: "خلاااااااااص! كفااااااااااية!!"

هنا ثار (صبيح): "اسمك؟ ومقبرتك اللي بتحرسها دي فين بابها؟"

استجاب (الصوت): "لو حكيتلك ينفوني!!"

صاح (صبيح): "قولي اسمك إيه؟؟"

صاح (الصوت): "اسمي (بعلوسن)"

كرر (صبيح) سؤاله بقوة وبطريقة أكثر تأثيراَ: "والمقبرة بابها فين؟؟"

استجاب (بعلوسن) لقوة طرح سؤال (صبيح): "تحت الحفرة دي.. امشوا ورا الصرخة.. لما تعلى يبقى انتو صح!"

(صبيح): "سكتّ ليه!؟ كمل وإما..."، ضغط على جسد الدجاجة مرة أخرى!

صاح (بعلوسن) وهو يهتز بحبيبة التي تبدو كدمية مخيفة جدا مغمضة العين وظهرها لهم ووجهها ناحية الحائط: "هات البخور عشان تدخلوا.... المقبرة بعد عشر أيام مش هتلاقوها!!" ثم ضحك بِشرّ كأنه يعلم شيئا ما!!

ثم فجأة صرخ كأنه يُنتزع من جسد (حبيبة)، لتسقط على الأرض.

أشار (صبيح) لـ(ياسر) الذي فقط القدرة على النطق، وهو يبتسم بزهو: "قوم شوف حبيبتك!"

هنا أحس (عاطف) بوعيه يعود مرة أخرى، فأكمل تقدمه، ليفتح الباب ويرى (زوجته) على الأرض و(ياسر) يحتضنها، و(صبيح) ينظر بِشر للموقف وكأنه لا يهمه شيء الآن غير محتويات مقبرة (ستْ)!

فصاح (عاطف): "انتو بتعملوا إيه هنا!!!؟؟ إيه اللي جابكم هنا!!؟؟"

ترك (ياسر) (حبيبة) التي تأوّهت من الألم والإجهاد: "عاطف! متحكمش بالمنظر! (حبيبة) كانت هتموت!"، ثم أشار لـ(صبيح) الذي ارتدى عمامته: "حتى اسأل (الشيخ)! صدقني يا (عاطف)!"

نظر (عاطف) (له) و(للشيخ صبيح) وللمكان الذي أصبح بوتقة لممارسي السحر والدجل، ثم سأل برعب: "إيه اللي بيحصل هنا!!!؟؟"

ثم نظر حوله بعينيه باحثا عن الكاميرا فلم يجدها، والتي تبتعد عنه لتختفي وكأن ما يصورهم يبتعد حتى لا يراه (عاطف)!

أجاب (ياسر) وهو يقترب: "(عاطف) مفيش وقت! المقبرة تحت هنا! مقدامناش غير ١٠ أيام عشان نلاقيها ونعرف فين مدخلها أو تختفي من هنا ومنعرفلهاش سكة!!!"

أكمل (الشيخ صبيح): "أنا فكيت الرصد بتاعها وعرفت اسم حارسها.. فيه بخور هجيبه خلال يومين، تلاتة، هقدر أدخل بيه المقبرة ونجيب حاجاتها بأمان"

صاح (عاطف) وهو مندهش: "انتم مجانين!! انت مجنون يا (ياسر)!! انت جالك قلب تورط (حبيبة بنت عمك) في الحوار ده!؟ انت إزاي اعتبرتك أخويا أصلا قبل ما أتجوز (بنات عمك) وأعرفهم أصلا!!؟"

"أنا لازم أتنازل (للباشا) عن البيت ده وتتحرق انت وهو.. أنا هاخد (حبيبة) ونمشي من هنا.. يلا يا (حبيبة) قومي!"

قالها وهو يتقدم لينهضها..

ولكن أتته ضربة قوية جدا طرحته أرضا مغشيا عليه، لتتضح الصورة من ورائه لـ(ياسر) وهو يهز قبضته من الوجع، قائلًا: "إحنا مش هنحتاج (عاطف) النَي ده تاني.. جاي يصحّي ضميره اليومين دول بروح أمه!"

ثم نظر لـ(حبيبة): "بعدين انتي تسيبيه عشان نتجوز.. أنا بحبك!"

(حبيبة) وهي تنهض مقتنعة بصحة كلامه وقد عادت إليها حالتها واستقرت: "وأنا كمان يا (ياسر).. معرفش إزاي رضيت بالبأف ده!"

هنا ابتسم (الشيخ صبيح) بخبث، وهو يتابع شفتي (حبيبة) وهما تتحركان متلذذا بهما!

(و أخذ يرسم الخطة مع ياسر بشأن القادم ..)

[نهاية الفيديو]

*****

نظرت (سلمى) خلفها قبل أن تشاهد الفيديو، ثم نادت: "مين!!؟؟"

رد عليها صوت ضحكات (دارين) ابنتها..!!

أحسّت (سلمى) بإحساس غريب ما بين الرعب والفرحة، تتساءل لماذا تتورط (ابنتها) كلما تعمقت في هذا الأمر الغامض وهل له علاقه؟؟ لماذا تطاردها الآن الذكريات بتلك التفاصيل التي تتضح شيئا فشيئا!؟؟

بعد أن فحصت الشقة بالكامل، طغى الفضول على خوفها لسببين: (كشف الغموض المحيط ببيت [الستْ حكمت]) و(إيجاد علاقة ظهور هذا الكيان أو الظل الشبيه بـ[ابنتها]).

واستبعدت أن يكون الأمر من مخيلتها.. استبعدته بنسبة كبيرة..

وبدأت تشاهد الفيديو وهي ترتعد من تصرفات هذا (الشيخ الغريب)، ولاحظت نظراته لـ(حبيبة) ولحظة خيانة (ياسر) لـ(عاطف) وتقييده على كرسي بجانب الحجرة، والاتفاق مع (الشيخ صبيح) بأن يحضر ٤ رجال صنّاع بالعقارات وتشطيبها شاء حظهم العاثر أن يتفقا منذ سنة مع (رجل) وعدهم بالسفر والعمل بالخارج وقد جمع نقودهم، ومن فرحتهم وتحمسهم لم يشكّوا لحظة فيه، ولكن (الغادر) هرب من أمامهم ولم يجدوه أبدًا، وتعسرت حالتهم المادية، وبما أن هنالك فرصة لهم فسيحفظون السر وسيعملون بكل جهدهم لإيجاد المقبرة قبل اختفائها بعشرة أيام.

هنا نظرت (سلمى) واستنتجت: "لذلك توقفت المذكرات؛ فعاطف لم يعد لها!"

كما خمنت أن المقبرة انتقلت يوم رأس السنة، وهذا سبب انهيار المنزل! كما بينت (هبة) من اهتزاز أرضي أثناء الانتقال!

ثم نظرت للخريطة التي معها: "وهذا هو مكانها الآن!"

ابتسمت.. لقد بدأ يتجلى لها السر.. بقيت لها فترة العشرة أيام التي مر بها (عاطف) قبل أن ينهار المنزل!

وفجأة انتبهت لظهور ملف آخر وجده نظام الحماية وفتح من

تلقاء نفسه!!

كيف هذا!؟

كيف تظهر ملفات من تلقاء نفسها!!؟

◄ ملف فيديو آخر!!

يبدو فيه أن الرجال الستة تجمعوا وبدؤوا العمل.

كانت (حبيبة) تباشرهم بينما يذهب (الشيخ صبيح) نهاراً لممارسة طقوس سحره الخدّاعة مع المساكين والمخدوعين ليتحصل على نقودهم بنهب شديد وبلا رحمة.

بينما يذهب (ياسر) للبازار ليبين أن الأمور تسير على طبيعتها، وكان مبرره عن غياب (عاطف): "أنه سافر إلى خارج المحافظة للقيام ببعض الأعمال"

ويتجمع (الجميع) بالليل...

كانت (حبيبة) تباشر (عاطف) وهو مقيد وتهيأ له الوضع بمنتهى النفاق فهي تلعب على الطرفين: "يا (عاطف) سيب (ياسر) يعمل كل حاجة.. أنا عارفة إنك مش طايقني دلوقت بس بعدين هتعرف إننا صح وهترجع تحبني تاني!" ثم أطلقت في خده قبلة فاتحة للشهية ليستجيب إلى حديثها.

كان (عاطف) يفكر فيها: (كيف أقنع هذه (المخبولة) أن المنزل

به شر مطلق يؤثر على النفسيات!؟؟)

لا يعرف ماذا يفعل، حتى (حبيبة) لا تستجيب لطلباته بأن تفك قيوده.

أخذ يشاهد (الرجال) وهم يعملون أمامه وهم لا يسألون عن وضعه وسبب تقييده.. كل ما يهمهم النقود.

يعملون بلا كلل أو ملل!

الأيام تمر عليهم، حتى أتى (صبيح) بالبخور وقد استعد لإيجاد مدخل المقبرة، و(ياسر) يلتقط أنفاسه من التلهف، و(حبيبة) تشاهد من بعيد.

أشعل (صبيح) البخور وألقى به بالكامل داخل الحفرة حتى أصبحت كالمدخنة التي لا ولن تنطفئ.

ولكن لم يحدث شيء ولم تصدر صرخة.

هنا أحس (الرجال) بالفشل وضياع الأيام والجهد.

وقد بقي يومان.

وهنا جاءت الفكرة (للشيخ صبيح) التي بها يأتي كل شيء..

هنا صاح لهم: "لازم رذيلة تُرتكب.... أنا لازم أنام معاها"

هنا التفت لها الجميع حتى (ياسر).. و(عاطف) يبرق بعينيه

من الغضب!!

أطرق (ياسر) رأسه للأرض مستسلما، وقد لاحظت (حبيبة) رد فعله الجبان الذي يدل على الرضا التام، والرجال تركوا عددهم ليمسكوا بها.

و(عاطف) ينتفض من الغضب حتى فك رباط فمه وصاح: "يا ولاد الكلب يا أنجاااس دي (مراتي)!!"، ثم نظر إلى (ياسر) ونهره: "يا وسخ قلهم حاجة!! انت هتسكت إزاى كده!!!؟"

لم يستمع له أحد، و(حبيبة) تصرخ عندما انطلق (الرجال) ليتلقفوها، و(صبيح) يشير لهم بخبث إلى الحجرة المجاورة.

فألقوا بها بالداخل و(صبيح) يأمرهم باستكمال الحفر، و(ياسر) يباشرهم وكأن الرجولة انتفت منه تماما، وبداخله إحساس باهت، فكمم (عاطف) الذي لم يتوقف عن إطلاق السباب بلا توقف في وجهه ويبصق فيه، وكأن (حبيبة) ليس حبيبته أو (ابنة عمه)، والتي كانت في مقام (أخته) منذ الصغر... والتي يتم اغتصابها بالداخل!!

*****

لقد انتقلت الكاميرا بطريقة غامضة ومقصودة لتُري (سلمى) كيف يهدد هذا (الصبيح) (حبيبة) بسكين أخرجه من جيبه.

أحست (حبيبة) أنها تجني الآن ما اقترفته في حق (زوجها)

الذي أحبها من بعد (أختها).

حاولت أن تقاوم التفكير فلم تستطع، لكنّ ما حاولت مقاومته هي أيدي (الرجل) الحرشوفية القبيحة العابثة وهي تتحسس جسدها الأبيض، فركلته بشدة ليبصق وتختفي ملامح وجهه المتلهفة، لتتحول إلى عناد زائد، فيقترب من رقبتها ليخنقها بيده ويضع نصل السكين البارد على وجهها بيده الأخرى، ولكن للقدر أموره التي لا شأن لنا بها؛ إذ حاولت (الضحية) أن تركله مرة أخرى على حين غفلة، فحاول تفاديها بيده التي تخنقها، دون أن يدري بالسكين الذي بيده الأخرى وقد أكملت نصف دائرة داخل رقبتها!!!

إنه الانتقام الرباني لتلك (الخائنة) التي فضّلت الدنيا، بشهواتها وملذاتها!!

وتسارعت لقطات حياتها...!!

تفضيلها السكن لمفردها لاستقبال الآخرين لممارسة الرذيلة بغرض المتعة، دون دراية أحد...

خيانة زوجها...

خيانة ابن عمها لها....

قتلها على يد (أحد مريدي المتعة) دون إرادتها...

ثم أظلمت الدنيا من حولها حتى يجدوا جثتها تحت الأنقاض...

مذبوحة بقسوة وقد افترسها (الرجل) قبل أن يلفّها بالملاءة.

فهناك غرض سيأخذه منها سواء حية أو ميتة!!

لقد اغتصبها الرجل بعنف... ضاجع جثتها!!!

هكذا أثبتت تقارير الطب الشرعي...

أنثى.. ذُبِحت وتم اغتصابها بقسوة..

[نهاية الفيديو الثاني]

*****

كان (مراد) يقرأ الملف للمرة الثالثة، وقد توصل البحث عن الجثث إلى بعضها وجاري تشريحها جثة تلو الأخرى، وقد اقترب من النهاية..

أخذ يفكر فيما حدث أسفل هذا المنزل المنهار.. ولما توصل إليه من تحريات.. لماذا أُغتصبت (حبيبة) بعد أن تم قتلها؟؟ ومن اغتصبها؟؟ ومن قتلها؟؟ فقد يكون نفس الشخص أو عدة.. لا يعلم.

ثم أي سحر هذا الذي يتطلب ممارسة الرذيلة؟؟ هكذا أُتضح له بعد العثور على ورق السحر!

فسر له (غنيم) هذا الأمر قبل أن يذهب لأسرته في منحة منحها

له (مراد) مكافأةً له.

كلامه يتطابق مع ما يراه..

يبحثون عن قطع أثرية مدفونة..

وتبقى في حجاب لا يروها، حتى يستطيع (ممارسي السحر) أن يفكوا رصدها الفرعوني.

عن طريق الذبح أو انتهاك الشرف!!

فكر (مراد): "كيف سيصدق أحد تلك الخرافات!؟؟"

الخرافات تتطابق مع ما توصل إليه!!

قام من مكانه لينادي على (عامل البوفيه)، الذي تصادف مروره أمام باب المكتب..

والتفت له..

نظر (مراد) إليه بتعجب: "انت مكحل عينك ياض!؟"

تلجلج (العامل): "لأ يا بيه هي شكلها كده!"

نظر له (مراد) وإلى قطة سوداء تنتصب أمامهما: "طب خرَّج القطة بتاعتك دي وبلاش قرف لأطردك من هنا.. واعملي القهوة اللي بحبها!"

أومأ له (العامل) مبتسمًا وشرع في طرد القطة.

ثم أتي جرس هاتفه من مكتبه ليجيب: "أيوة!"

"أيوة أنا الرائد/ مراد الشوبكشي!"

"غنيم.. أيوة أنا الضابط بتاعه!!"

رفع حاجبيه من الدهشة: "إيه!!؟ مات!!؟ حادثة!؟ لا حول ولا قوة إلا بالله!"

*****

ـ "مااااااامي.... أنا داريييييين.... ردي على التليفووون يا ماما أنا مش زعلانة"

نهضت سلمى من أمام شاشة الحاسب الآلي بشهقة رهيبة على صوت هاتفها!

وجدت أن المتصل هو (مستر عزت) صاحب القناة..

فأجابت بصوت متغيّر لتخفي نومها: "إحم.. آلو"

(عزت): "غبتي وقلتي عدولي.. انتهزتيها فرصة!"

(سلمى): "أبدا والله.. فيه مفاجآت يا مستر والله.. بس مركزة فيها"

(عزت): "قربتي يعني!؟ ولا كله في الهجايص؟"

(سلمى) بكذب وهي تتفحص ملفي الفيديو اللذين لا ثالث لهما وقد شعرت بإحباط: "لأ قربت أوي أوي.. وبجد هابهر حضرتك"

(عزت): "ممم طيب ممكن نعطلك عن بحثك فترة بكرة الصبح بس؟"

(سلمى) متعجبة: "اشمعنى!؟"

(عزت): "يا ستي التغطية اللي عملتيها يوم رأس السنة، مطلوب نعمل تغطية لمنطقة الأهرامات بكرة كتكملة ليها"

(سلمى): "حفلة تانية يعني!؟"

(عزت): "لا لا.. تغطية وتصوير للمكان والأهرامات.. حاجة كده محتاجة طلّتك الجميلة عشان الناس عرفتك خلاص"

(سلمى) بثقة: "منا واخدة بالي"

(عزت): "طب اوعي بس تتغري في نفسك وآجي أتصل بيكي متردیش!"

(سلمى) باحترام: "عيب يا (مستر عزت).. مش (سلمى غُراب) اللي تعمل كده.. أنا تحت أمرك"

(عزت): "خلاص (ليلى) هتجيلك بكرة وكل حاجة جاهزة.. شكرا

يا (سلمى)"

(سلمى): "العفو يا (مستر).. أنا اللي متشكرة.. سلام"

(عزت): "اتفضلي..."

عندما أغلقت (سلمى) المكالمة كان في مخططها أن تبحث عن ما يسمى بـ(لعنة الفراعنة) و(فك الرصد الفرعونى).

فبحثت لتجد أن هناك اتجاهين لتفسير اللعنة، بعد أن تم تعريفها أن كل نابش لمقبرة من مقابر الفراعنة تصيبه اللعنة في الحال أو بعد فترة.

الاتجاه الأول (علمي): أن هناك بالأسفل تجمع لغازات سامة عدة مكونة خليطا مميتا قد يُميت في الحال أو بعد فترة من استنشاقه حسب قدرة تحمل الفرد.. ولكن الوفاة حتمية.

وهناك نوع ما من البخور يولّد غازات تعادل هذا المخلوط فيستحيل هواءً نقياً فيتيح للفرد أن يمر بسلام.

الاتجاه الثاني (يميل للخرافة): أن هناك جن من الجن الأحمر حارسًا لتلك المقبرة ومالها وكنوزها والمومياء حتى يعبر إلى العالم الآخر في وقت ما أو لا، وحتى هذه الفترة يصيب أي أحد من طامعي الكنوز إن يقترب ويمد يده فيها.. وقد تكون اللعنة القتل أو الانتحار أو حادث مميت أو زيارة شخصية من الجن له ليقتله، وقد يصل الأمر لحد الجنون ليفقد الوعي والقدرة

على التفكير.

وحتى يستطيع أن يمر بسلام لابد من نوع خاص من البخور يحبه الجن، أو بمعنى أدق يستسلم له ولأمر البشري مستخدمه، أو أن يتم ذبح ذبيحة بقرب المقبرة لإراقة الدماء وأقواهم ذبح البشر، أو ممارسة الرذيلة باشتياق ويفضل تكرارها.. وذلك حتى يفك الرصد الفرعونى... وتظهر ملامح المقبرة!

أغلقت (سلمى) جهازها واستعدت لكتابة ما توصلت إليه؛ لترتب الأحداث حتى إن ظهر في الأمر ما هو جديد ترفقه بلا ضغوط.

فتناولت مهدئ الأعصاب وأمسكت قلمها وبدأت تكتب، وتسكب ما برأسها على الورق في عناصر حتى غلبها النوم مرة أخرى حتى الصباح.

*****

في الصباح اتصلت (ليلى) بـ(سلمى) لتوقظها كالمرة السابقة، ونومة (سلمى) لم تكن ساكنة كالعادة؛ ذكريات شاردة كقطع البازل ما بين ذكريات الحادث ومشاهد الفيديو وكتابات (عاطف)... لقد كان الضغط عليها كبيرا جدا وهي تحمله على نفسها ولا تخرجه إلا في أوراقها التي تركتها مع المذكرات والكاميرا على المنضدة بجانب الحاسب الآلي.

نظرت نظرة أخيرة لكل تلك المتعلقات.. لم تكن تتخيل أن تتوصل لتلك الحقائق المتكشفة لها تدريجياَ.

وفكرت: "ماذا بعد يا (سلمى)؟؟؟ ماذا حدث لـ(عاطف) و(ياسر) و(صبيح) و(الرجال الأربعة)؟؟؟"

"ماذا بعد قتل (حبيبة) بتلك البشاعة واغتصابها غير الآدمي؟؟"

لابد أن تذهب لـ(مراد) بذلك الكارت، ولكن بعد أن تكتمل الدائرة الغامضة وتحصل على السبق الصحفي لها.. الأنانية في ضيافتها بكل ترحيب مرة أخرى فهو طبع فيها!

وفي النهاية غادرت واتجهت مع (ليلى) إلى منطقة الأهرامات، حيث بدأ كل شيء.

*****

سقط المايك من يد (سلمى) وصرخت: "(ليلى)!! الحقيني!! أنا مش شايفة الأهرامات!! ولا أبو الهول!! هما راحوا فين!!؟"

حملقت (ليلى) في (سلمى)، ثم تبادلت النظرات إلى الطاقم، ثم تأكدت من وجود الأهرامات الثلاثة شامخين وإلى أبو الهول الجالس الذي لم يتحرك إنشًا واحدا.. ثم سألت بقلق: "(سلمى).. مالك يا (سلمى)!؟"

عاودت (سلمى) الصراخ وهي تتلفت بشدة باحثة عن شيء:

"أنا فين!!؟؟ أنا ليه مش شايفة الأهرامات وأبو الهول!!؟؟"

احتضنتها (ليلى) وأمسكت بها في يأس: "وراكي يا حبيبتي بصي!"، ثم أشارت لها!

(سلمى) وهي تنهار عصبياَ: "المهدئ بتاعي يا (ليلى).. أنا نسيته.. أنا مش عارفة إيه اللي بيحصلي أنا تعبانة!!!!"

ثم أغشي عليها..

نظرت لها (ليلى) نظرة شفقة وهي تشير (للرجال) بأن يساعدوها: "ساعدوني.. (سلمى) لازم تروح.. فركش مش هنصور النهاردة"

*****

استيقظت (سلمى) وهي تمسك برأسها.. وعادت تتذكر (ليلى) التي أحضرتها وأعطتها المهدئ واطمأنت عليها حتى غطّت في النوم وتركتها لترتاح!

كانت أحداث انهيار البيت تدور داخل رأس (سلمى) وتضغط أكثر عليها، لتشعر بالألم وهو يزداد، فتناولت مهدئًا آخر.. لكن الشيء إذا زاد عن الحد ينقلب للضد، فلم تستطع النوم.

كان لابد أن تجد ما يشغلها، فآثرت أن تكتب حتى ينزاح عنها باقي العبء وترتاح، ففتحت حاسبها وجهزت قلمها لتكمل

عنصرة الأحداث وتكتبها بالحاسب.

ولكن حدث الأمر لثالث مرة..!!

برنامج الحماية وجد ملف فيديو ثالث..!!

أحسّت (سلمى) برعشة قوية وتوترت! يبدو أن هناك من يساعدها.. من وراء حجاب!

لا تراه، وهذا أخافها، لكنها فتحته..

فهي تشعر أنها ترقص على حافة الجنون..

فتكون أو لا تكون..!

شاهدت (عاطف) وقد أصيب بالهبوط والانهيار، ويبدو أنه مغشي عليه، و(الرجال) يحفرون بكل عزم وقوة والعرق مصبوب من وجوههم الشاحبة، وهناك صوت حفل صاخب في الخلفية أدركت أنه حفل رأس السنة الذي انعقد وقت انهيار المنزل.

وفجأة تأتي (للرجال) رسالة على هواتفهم في آن واحد!

كان محتوى كل رسالة: اسم كل رجل حتى (ياسر) و(صبيح) بالكامل... تشير في بقيتها بأن هناك مقبرة ولابد أن يجدوها!

"يا (ياسر).. تعالى فيه مقبرة عرفنا مكانها.. هات رجالة أمينة عشان نلاقيها"

حتى (عاطف)...!!

تبادل (الجميع) نظرات الشك؛ إذ أحس كل واحد منهم أن آخر يتلاعب بالبقية!

كيف عرف (مرسل الرسالة) اسم كل منهم إن كان منهم!؟؟ أو أفصح أحدهم بالسر لشخص خارج تلك البوتقة!؟؟

اشتبك (الجميع) بعد أن تبادلوا السباب وقد أصابهم التوتر والإحباط لما لم يجدوه.

ولكن دوت صرخة عنيفة مخيفة!

أحسّت (سلمى) أن الصرخة كادت أن تثقب أذنيها.. فما بال (الرجال)!!؟

ولكن بعدها تهللت أساريرهم!!

فكما أشار (بعلوسن) حارس المقبرة بأن يتبَعوا الصرخة!

وهبط (الجميع) في الحفرة وسط الأبخرة المتصاعدة من أعواد البخور العريضة..

ويتقدمهم (صبيح) و(ياسر)، ومن ورائهم عدسة الكاميرا كأنها تطير..

و(سلمى) تبتلع ريقها مما تشاهده! باب صخري كبير يظهر جزء منه، والرجال يزيلون بقايا الرمال.. ليتضح بالكامل وعليه

كتابات ورسوم كما ظهرت بـ(بردية حورس ابن أيزيس وأوزوريس).

ويتقدم (صبيح) ليجرح يده بالسكين ويسكب بعض قطرات من دمه في إناء صغير جدا ليهتز المحيط من حولهم.

وهنا رن هاتف (سلمى) بـ(شخص) لم تتوقع أن يتصل بها.. (مراد)!!

أحسّت (سلمى) باللهفة.. وقبل أن ترد تابعت في نظرة سريعة (للرجال الستة) وهم يدلفون للمقبرة ويغوصون في المذهبات والمشغولات الذهبية..

و(سابعهم) في حالة يرثى لها بالأعلى مقيدا، وبجانبه جثة (زوجته)!

ثم أجابت: "آلو"

كان (مراد) يشعر باللوم من داخله لتركه (سلمى) بعد الحادث؛ فهو يتذكر جيدا نصيحة (الطبيب المعالِج لها) بأن لا يتركها لأنها أصيبت ببعض الضمور في رأسها سبب لها اختفاء بعض الذكريات القريبة.

فلمّا استقبل مكالمة من (ليلى) التي أفادت له أن (سلمى) حالتها حرجة وتسوء وأنها تخمن أنها بحاجة إليه، أحس أنه الوقت الذي يجب أن يعيد معها الكرة لعلها تغيرت.

فسألها: "(سلمى).. انتي كويسة؟؟"

(سلمى) بهدوء ولكن قلبها ينبض بعنف: "آه الحمد لله"

(مراد): "(ليلى) صاحبتك كلمتني وقالتلي إنك تعبتي جامد النهاردة.. مالك حصل إيه؟؟"

(سلمى): "شوية صداع.. بس أخدت الدوا وبقيت كويسة"

أحس (مراد) أن (سلمى) تغلق معه الحديث، فأحس بالإحراج: "طيب يا (سلمى).. هتصل بيكي كمان شوية أطمن عليكي تاني"

وقبل أن يغلق أدركته (سلمى) وهي تنظر للرجال وهم يجمّعون الموجودات الذهبية: "(مراد).. ممكن أسألك سؤال؟؟"

(مراد): "اتفضلي!"

(سلمى): "انت وصلت لإيه في حكاية البيت اللي وقع؟؟"

نفخ (مراد) من هم التفكير: "بصراحة يا (سلمى) الموضوع غريب..."

(سلمى): "غريب إزاي؟؟"

(مراد): "لقينا جثة لـ(واحدة مقتولة).. وبعديها خرّجنا باقي الجثث.. لـ(ست رجالة).. بس فيه حاجة غريبة..."

بادرت (سلمى) بسؤال لتقاطعه: "(ستة)!؟"

(مراد): " آه!!"

(سلمى) بتلقائية: "المفروض يكونوا (سبعة).. مش (ستة)"

(مراد) وقد انتبه: "إيه اللي يخليكي تقولي إنهم (سبعة)!؟؟ انتي تعرفي حاجة!؟؟"

فقدت (سلمى) النطق للحظة؛ لا لخطئها السابق ولكن مما تراه على الشاشة!

فجعلها ترتعد بعنف وتصرخ في (مراد): "عشان أنا متأكدة إنهم كانوا (سبعة)!! بس (السابع) قتلهم!! (مراد).. (عاطف) هو اللي قتل (الست رجالة)!!!"

كانت تنظر لـ(عاطف) الذي ظهر للرجال فجأة وعليه أقسي أمارات الغضب وكأنه ملبوس!

يدفع بالرجال فيطيرون في الهواء، ويمسك بأعناقهم ليدقها بلا رحمة.. ثم رفع (صبيح) وألقاه في الهواء ليسقط جثة هامدة من قوة الارتفاع!

أما (ياسر)، فدب يده في بطنه ليخترقها، ثم خنقه بكل قوة لتجحظ عيناه في فزع.. ويسقط على الأرض!!

بعدها نظر (عاطف) ناحية الكاميرا بهدوء وبرود، وعيناه شديدتا الاحمرار.. ومن خلفه...

ظهر (طيف دارين) وهي ترفع ذراعها وتشير إلى (عاطف)!!

صرخت (سلمى) في فزع!!

أحس (مراد) بالقلق الرهيب: "(سلمى)! إيه اللي بيحصل؟؟ أنا مش فاهم حاجة! مالك!؟؟"

صاحت (سلمى): "أنا رايحاله!!"

(مراد): "رايحة لمين يا مجنونة!؟؟ انطقي!!"

(سلمى) وهي تبكي: "مراد تعالالي على المكان ده!"

(مراد): "مكان إيه!؟؟"

(سلمى): "هبعتهولك على الواتس-آب"

ثم أغلقت المكالمة!!!

كان (مراد) في حيرة شديدة جدًا.. أخذ يتذكر تصريحات (سلمى) التي أدلت بها منذ ثوان: "(عاطف) هو اللي قتل الست رجالة.... وأنا رايحاله"

هنا صاح عبر جهاز اللاسلكي آمرا: "جهزولي القوة حالا ببوكسين.... هنتحرك حالا"

رد عليه متلقّي الأمر: "هنروح فين سعاتك!؟"

لم يدر بماذا يرد، لكنه شتت السائل: "ملكش دعوة! مأمورية سرية!"

ثم أشعل سيجارة وهو ينظر للهاتف ينتظر رسالة الواتس أب، وهو يفكر هل ينتظر الرسالة أم يتوجه لشقة (سلمى)؟؟؟

فقرر أن ينتظر حتى تجهزت القوة، إن لم تصله الرسالة سيتجه إلى الشقة!

*****

بعد أن أغلقت (سلمى) كانت تشاهد (عاطف) وهو يغلق باب المقبرة، التي اهتزت بعنف والكاميرا تبتعد للأعلى.

والمنزل يهتز بعنف وغبار يظلم الكادر، فتفهمت أن المنزل ينهار بسبب انتقال المقبرة كما ذكرت البردية!

هنا تحدثت (سلمى) مع نفسها وهي تسرع متخبطة إلى حجرتها: "أنا افتكرت يا (دارين)!! افتكرت يا (بنتي)!! فهمت إنتي عاوزة تقولي إيه!!"

ثم أخرِجت من أسفِل سريرها صندوقًا صغيراَ، لتفتحه وتُخرج مسدسًا منه مذخراَ، وهي تنظر له متذكرة واقعة الحادثة بالكامل:

* * *

ـ "بيهددوني يا (صدّيق)!! بيهددوني أنا و(مراد)!!"

أجاب (صدّيق): "اهدي يا (سلمى).. حاولي تبعدي وتفضّيها سيرة.. الناس دي خطر"

(سلمى) وهي تتجاهل نداءات (دارين) الملحّة: "أنا اشترتلهم سلاح!"

(صدّيق): "الموقف بقى خطر عليكي يا (سلمى).. (مراد) عارف؟؟"

(سلمى): "لأ (مراد) ميعرفش حاجة.. أوعى تقوله حاجة يا (صدّيق)! أنا مش هسكتلهم!! يا أنا يا همّا!!"

(صدّيق): "انتي فين!؟؟"

(سلمى): "اتخانقت مع (مراد) ولسّة خارجة من البيت.... أنا عند التقاطع اللي قبل ...."

قاطعها نداء (دارين): "مااااااميييييي!! مااااااميييييييي!!"

صرخت (سلمى) فيها: "قلتلك ١٠٠ مرة لما بتكلم في الفون متكلمنيش ولا تنادي عليا!!"

وكادت أن تصدمهم سيارة أوقعت الهاتف لتغلق المكالمة.. في وجه (صدّيق) الذي عاود الاتصال..

وبمجرد أن التقطته هدأت نوعا ما.. والتفتت (لابنتها) وشرعت

أن تبتسم.. لكنها لمحت في خلفية (دارين) تلك السيارة التي تقصدهما... وبداخلها السائق الملثم... عندما سقطت التلثيمة عن وجهه بشكل جزئي..

أدركت ماهيته!! لقد كان (عاطف)!! (عاطف الدكر)!!

وكان الاصطدام مروّعًا بحق من ناحية (دارين)!!

* * *

لقد تفهّمت لماذا أحست دومًا أن وجهه مألوفًا، ولماذا فضولها كان يستعر من ناحيته هو بالذات!!

أما (دارين) الذي هام شبحها يطارد (سلمى)؛ فكان لينذرها بـ(ماهية قاتلها).... (قاتل ابنتها)!

لذا أسرعت (سلمى) بالمسدس بعد أن دسّته بملابسها ملتقطة (هاتفها) إلى حيث انتقلت المقبرة، وهي تخمّن أن (عاطف) حي يرزق بداخلها.

وعندما وصلت إلى المكان المحيط بالمقبرة، كان مكانًا يبعث الخوف والكآبة.. تحيطه أعمدة منهارة تبدو من نقوشها المنحوتة والمطموسة، أنها لزمن القدماء المصريين.

على الفور أرسلت لـ(مراد) رسالة بالمكان، الذي استقبلها واتجه بأقصى سرعة إليه بالقوات.

وهنا لم تطل (سلمى) البحث..

إذ ظهر لها (عاطف) من العدم وهو يبتسم بخبث لها: "مرضتش أتعبك.. قلت انتي عاوزاني فجيتلك بنفسي.. وبعدين المكان الجديد ده مفيش حد يعرفه إلا انتي وبس"

"أصل (هبة) انتحرت!"

رفعت (سلمى) سلاحها في وجهه: "انت اللي قتلت (بنتي) يا كلب!! وقتلت (هبة) كمان!"

ابتسم (عاطف) في سخرية: "حاجة زي كده"

لم تنتظر (سلمى)؛ فكم الكره بقدر الذكريات الشاردة والألم الذي فتك برأسها طوال الأيام السابقة أرغموها على الضغط على الزناد، لتنطلق الرصاصة في قلب (عاطف) وتنبثق الدماء منه!

ولكنه لم يحرِك ساكنا، بل احترقت عيناه كالجمر!

كان (مراد) على مشارف المكان.. بمجرد أن استمع إلى الطلقة أدرك مصدرها، فأمر القوات أن تتقدم معه بسرعة شديدة ولكن بحذر.. وبداخله قلق على (سلمى).

ليجدها وهي توجه سلاحها، فصاح بها: "(سلمى)!! بتعملي إيه!!؟؟"

صاحت (سلمى) وقد اطمأنت لوجود (مراد): "(عاطف) أهو يا (مراد)!! (عاطف) اللي قتل (بنتنا) وقتل (الرجالة) وهد البيت عليهم كلّهم!!"

ابتسم (عاطف) لها ليستفزها: "نسيت أقولك إن (صدّيق) المحامي صاحبك اللي كان شغال معاكي وعامل أخوكي هو اللي مسلّمك ليهم تسليم أهالي.. شفتي بأة!"

ضغطت (سلمى) على فكيها بعنف، وضغطت مرة أخرى لتنطلق رصاصة في رأس (عاطف)، الذي تقبلها بميل قليل برأسه للوراء: "بتعرفي تنشّني يا (سلمى)!"

هنا وجهت قوة الشرطة سلاحها ناحية (سلمى)!

و(مراد) يصيح بها وهو يشير للقوة بأن يهبطوا بأسلحتهم: "نزلي سلاحك يا مجنونة! انتي بتعملي إيه!!؟؟"

ثم صاح في رجاله: "محدش يرفع سلاحه! نزلوا سلاحكم!"

صاحت (سلمى): "بقولك (عاطف) أهو يا (مراد)!!"

صاح (مراد) بها بأسى وشفقة: "فين (عاطف) ده يا (سلمى) !!؟؟"

ابتسم لها (عاطف) وهو يومئ، ويسير بخفة إلى (مراد)، ليمسك برأسه ورقبته دون أن يراه (مراد) أو يشعر به، ويهددها بخبث: "أوعدك إني هدمّرك!"

هنا وجهت (سلمى) سلاحها عنادًا ناحية (عاطف) بتلقائية، وبالتالي رأى الجميع أنها توجهه ناحية (رئيس المباحث)، وأنها تحاول أن تطلق عليه الرصاص!

صرخت سلمى: "حاسب يا (مراد) هيقتـــ....." وبدأت في الضغط!

ولكن (مراد) كان أسرع منها، فأطلق رصاصته ناحيتها، لتصيبها وتسقط على الأرض وهو يصيح: "انتي مجنونة!! مجنونة!! إيه اللي حصلّك!!؟؟"

نظرت (سلمى) والدوار يشوش على رؤيتها تحت تأثير النزيف، إلى (عاطف)، الذي اقترب منها مبتسمًا بسخرية مكملًا جملته: "أنا لسة عند وعدي"

ثم ضحك بِشرّ واختفى عن بصرها، لتغلق عينيها على مشهد (مراد) وهو يسرع ناحيتها ليحملها.

*****

وبعد أن سمعت (ليلى) ما حدث لـ(سلمى) وخبر انتقالها للمشفى، ذهبت على الفور إلى شقتها لتحضر لها ملابس.. وقبل أن تغادر الشقة لمحت الكاميرا وما بجانبها من أوراق وأقراص مرنة.. فاتجهت ناحيتهما لتتفحصهما، وكأن الفضول يحركها بغير عادتها!

****

الخاتمة

أكملت (ليلى) متأثرة: "بعديها رحت شقتها وخدت لبس ليها عشان أديهملها في المستشفي و......."

نظر (مراد) إلى (ليلى) ليوقفها عن الحديث: "أستاذة (ليلى).. انتي مش قلتي إنك بتخافي تدخلي المستشفيات!؟"

ابتسمت (ليلى) بقلق محرجة.

أكمل (مراد) تساؤلاته: "ثم انتي دخلتي شقّتها إزاي!!؟ هي مدياكي المفتاح!!؟ ولا إزاي عرفتي تفاصيل حياتها من جوة بالشكل الرهيب ده كأنك مراقباها!!؟؟ دا انتي جبتيلي الكواليس من جوة البيت قبل ما يقع!"

ضحكت (ليلى): "قفشتني!"

برق (مراد) بعينيه مصدومًا وهو يكذّب ما تقوله (ليلى) بسخرية: "يعني يا (مراد) بيه هافضل أحرس المقبرة كده كل السنين دي من غير ما أتسلّى على اللي زيكم!؟"

شهق (مراد) وانحبست الكلمات في فمه، بينما (ليلى) تكشر عن أسنانها وعيناها تحمران، ثم نظر (مراد) إلى سلاحه واستعد ليلتقطه.

ولكن (ليلى) كانت أسرع منه؛ إذ قفزت عليه وأمسكته ودارت به في الهواء لتطيح به على الأرض في خفة شديدة دون إصدار أي صوت، لتنفلق عظام رقبته ويشهق برعب محشرجًا حشرجته الأخيرة، وفي عينيه أمارات الفزع!

ثم أجلسته على كرسيه، وهو ينظر تلك النظرة المرعبة تجاه الباب الذي فتحته وهي تقول له: "بالمناسبة.. أنا حرقت كل الأدلة اللي وصلت ليها (سلمى) في شقتها"

ثم لمحت (قطتين سوداوتين) انتصبتا لها احترامًا بمجرد رؤيتها، وهي تكمل بصوت مرعب جدًا وأجش:

"مهمة (بعلوسن) مش حراسة المقبرة بس! مهمته إنه ينفي أي شخص من الوجود بمجرد ما يمس شعرة من سر المقبرة!"

ثم نظرت إلى إحدى (القطتين) وهي تتحول إلى (عامل البوفيه) في ثوان، ليحبو مقبلًا يديها وهو في وضع انحناءته مبتسمًا، وعيناه مكحّلتان بشدة لدرجة الاسمرار.. تبرقان للقطة الأخرى بنشوة انتصار.

*****

كان مشهد (السيدة حكمت) في مشفى الأمراض العقلية يثير الرعب، ولكن الصورة اكتملت بعض الشيء بمجرد أن نظرت وابتسمت إلى (جارتها) في العنبر.

إلى (سلمى)، وقد ضُمِّد ذراعها من أثر إصابتها بالعيار الناري، وهي تنظر للفراغ في حالة من اللاوعي، واللعاب يسيل من فمّها.

وهناك ما لا يراه (أحد) إلا (هي).. طيف (دارين) وهو يمشّط شعرها بلا توقف في برود رهيب.. ولون شاحب.. يتوسّد برأسه على كتفها.

ولكن كان للصورة أن تكتمل بصوت (السيدة حكمت)، وهي تقهقه بهيستيريا مريبة أخافت (الجميع) حتى (المرضى) من حولها: "قلتلك محدّش بيصدقني! كلهم مبيسمعوش كلامي! أنا حذرتهم وهما مبيسمعوش كلامي!"

وأشارت لها ضاحكة، وبمنتهى الجنون الذي فاق حدوده: "زيّك!"

وتعالت ضحكاتها، وقد ظن مستمعوها هذه المرة أن ليس لضحكاتها نهاية إلا بانقطاع أنفاسها!!

*****

بعدها انتشرت الأخبار بعيدًا عن الكواليس السابقة في موجز مريب وغامض، كما تراءى لمشاهديه في التلفاز ولقرائه في الصحف:

"(عاطف الدكر) مقتولا في المقابر و(أسرته) أسفل الأنقاض بسبب لعنة الفراعنة"

"حجز الإعلامية (سلمى غُراب) للكشف على قواها العقلية"

"اعتراف الخيّال (قرافة) بذبح (والده) الضرير: (كان ملبوس من الجن والدود بياكله حي!)"

"رئيس المباحث (مراد الشُبوكْشي) مقتولًا في مكتبه في ظروف غامضة"

"(مجند شرطة) يصاب في حادث مروري إصابة أودت إلى وفاته"

"على وتيرة التضحيات الفرعونية: مرشدة سياحية تنتحر وقدْ عدّت نفسها قربانًا للآلهة"

"العثور على جثة (صدّيق أبو العز) المحامي، عاريًا ومشنوقًا بشقّته"

"(ثري) ذو مقام عال يشتري أرض العيار المنهار ويبني اسطبل خيل فرعوني الهيئة محله"

*****

أغلق (شاب) وسيم الصحيفة، عندما قاطعه (الرجل) مصرّحًا: "أيوة هنا يا (بيه) سمعت الصوت بيهتف!"

نظر له (الشاب) بشك، وللأعمدة الفرعونية المنهارة تحت ضوء القمر الثلجي: "متأكد؟"

ضحك (الرجل) له كأنه يستجديه لتصديقه وهو يشير: "والله يا (بيه) زي ما بقولك.. من بعد ما قبضوا على السنيورة الحلوة بتاعت التليفزيون في الحتة دي، ظهرت الأصوات وفي حتة في الأرض فتحت لوحدها أهو!"

أخرج (الشاب) مبلغًا وفيرًا من المال ليناوله (للرجل): "شكرا يا (عم محمد)"

هلل (عم محمد) من الفرحة، وشكر (الشاب). وبينما هو يلتفت في أمان تام، أخرج (الشاب) حبلًا غليظًا من داخل الجريدة، وقام بتحويطه على رقبة (عم محمد)، الذي عافر بقوة إلى أن برقت عيناه من فزع الصدمة، بعد أن خانته

أطرافه وسقطت استسلامًا، ليتطاير مبلغ المال في أرجاء المكان!!

أشار (الشاب) لـ(رجل ضخم البنية) تبدو ملامحه مألوفة ليتخلص من (الجثة)، وليناوله الهاتف ويتصل: "أيوة يا (باشا).... لقينا المكان التاني للمقبرة"

ثم ابتسم ظفراَ للضخم الذي أُتضح أنه (حارس الباشا)، والذي بدأ في جر (الجثة) إلى المجهول. وهو يردد لنفسه: "اكتشاف مقبرة (سِتْ)!"

وهناك عينان تشتعلان احمرارًا بقوة على جملته الأخيرة، ترصده بنشوة، وبصوت واثق أجش ومخيف: "مش هيحصل!"

تمت بفضل الله

أيمن العايدي

(أيمن العايدي)

أول #ضابط_شرطة (مصري) روائي و سيناريست ، وُلد بمحافظة #الشرقية عام ١٩٨٦ م
حاصل علي ماجيستير في القانون (علوم اقتصادية و قانون عام)

★ صدر عنه في المجال الروائي :

١- رواية / #الجمال_المدفون

٢- رواية / #الباروكازا ...

معناها (بيت البارون أو قصر البارون)

٣- رواية / #جليس_الشر

٤- المجموعة القصصية / #كبسولات_رعب

٥- رواية / #النكرومانسيراالتاأحبته !

٦- رواية إلكترونية / #جنّة_الأبالسة

٧- القصة الأخيرة بكتاب #قطار_الرعب

٨- بعض القصص القصيرة بالمواقع الإلكترونية و المجلات و الجرائد

★ كما صدر عنه في مجال الصوتيات حلقات راديو دراما عن (#سلسلةالغرفةالمظلمة) :

١- حادثة شرم ووتر

٢- شقة صادق

٣- نابش القبور

٤- ذنْب
٥- كريسماس
٦- مسلسل / سبَق خيل
٧- المتوغّل
٨- مسلسل / أبونيه للجحيم
(تأليف و مكساج و إخراج)
٩- سيناريو وحوار للمسامع لمسلسل رمضاني / جنّة ابليس .. عن قصة / لينا بزّي ، علي راديو سهر اللبناني

★ و أيضا في مجال المرئيات أفلام قصيرة عن (سلسلة الغرفة المظلمة) :
١- شقة صادق
٢- اسرقني !
٣- رعب الملكية الفكرية (التليفزيون)
٤- دمية بالداخل
٥- أطفال بشعة ١-٢
٦- الهروب
(تأليف و تصوير و مونتاج و إخراج)

للتواصل مع الكاتب وتقييمه من خلال الصفحة الرسمية (فيسبوك): أيمن العايدي

facebook.com/Ayman.ElAidey.Official/

أو من خلال مسح هذا الكود باستخدام أي تطبيق QR CODE SCANNER على الهاتف: